المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية اللغة العربية

قسم الأدب

تاريخ الأدب العبَّاسي (النثر) - المستوى الثالث

أدب ٢٢١ — ثلاث ساعات

١٠ / ١٤٣٥هـ - قاعتا : ٣٣١- ٣٣٣

دعاءٌ طيّب مبارك قبل المذاكرة أو إنجاز أي عمل :"اللّهم اصنعه على عينك ، واجعله خالصًا لوجهك وارزقه القَبول بين الناس"

مفردات المنهج:

أ/ مدخل:

- البيئة السياسيَّة والاجتماعيَّة في العصر العباسي وأثرها في الحركة الفكريَّة والأدبيَّة.
- الحياة الجديدة وأثرها في الأدب.
- ميزات النثر العباسي ..نظرة عامة .

ب/ النثر العباسي : أهم أعلامه وآثاره.

١- ترجمة عبدالله بن المقفَّع.

٢-كتاب عبدالله بن المقفّع كليلة ودمنة .

٣- ترجمة الجاحظ.

٤- مؤلفات الجاحظ : البخلاء .

٥- القصص الشعبي: سيرة عنترة العبسي.

Scanned by CamScanner

٦- فن المقامة.

٧- أهم كتّاب المقامات :بديع الزمان الهمذاني والحريري .

ج/ أهم المصادر :

- كليلة ودمنة لابن المقفع.
- كتاب البخلاء للجاحظ.
- سيرة عنترة العبسي.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني.

د/ أهم المراجع:

الكتب:

- الأدب والارتياب؛ عبدالفتاح كليطو.
- أشكال التعبير الشعبي في الأدب الشعبي ؛ د. نبيلة إبراهيم.
- الأقصوصة: مقوماتها وعينات من بداياتها؛ الصادق قسومة.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ؛ حنا الفاخوري.
- الفن ومذاهبه (في النثر العربي) ؛ شوقي ضيف.
- معجم السرديات؛ مجموعة مؤلفين.
- الكتابة والتناسخ (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية) ؛ عبدالفتاح كليطو.
- الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي) ؛ عبدالفتاح كليطو.
- النثر الفني في العصر العباسي الأول: اتجاهاته وتطوره؛ د.محمد عبدالغني الشيخ.

مقالات من الإنترنت:

- مريم صاعد واقفي ؛ مقال "المقامات الفن العربي الأصيل" . موقع ديوان العرب الإلكتروني ، ٢٧ شباط ٢٠٠٩ www.diwanalarab.com/spip.php?article17352://http
- ترجمة الحريري ؛ موقع المعرفة الإلكتروني : D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1%D9%8A://www.marefa.org/index.php/%http
- مقامات بديع الزمان الهمذاني في براغ مسرحياً: http://www.iraqhurr.org/content/article/24787033.html
- المنمنمات الإسلامية فن الإدهاش المعجز ؛ مجلة الكويت الإلكترونية: http://www.kuwaitmag.com/index.jsp?inc=5&id=10849&pid=1063&version=246
- إشكالية تعريف الأدب الشعبي ؛ موقع منتدى الإنثروبولوجيين الاجتماعيين العرب الإلكتروني : http://anthro.ahlamontada.net/t1662-topic

أستاذة المادة : تهاني بنت عبدالله المبرك

T-mebrek@hotmail.com

Scanned by CamScanner

الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة في العصر العباسي وأثرها في الحركة الفكرية والأدبية

دولة جديدة:

* انهيار العرش الأموي : انهارت الدولة الأموية بسبب ضعف خلفائها المتأخرين ، وكثرة الثورات التي يقوم بها الناقمون والحانقون. فالشيعة تحركهم آمالهم والدماء التي أريقت منهم والويلات التي تجرعوها. والموالي تحركهم أحقادهم التي ألهبها تحقير الدولة لهم. وكان الفرس أشدَّ الموالي نقمةً وانتفاضًا فهم أهل حضارة وعلم ومقدرة ، وقد شق عليهم ما لحق بهم من ذل. ورأى بنو العباس أنَّ في تحالف هذين الخصمين في ثورة علوية فرصةً للاستيلاء على الخلافة وهم أبناء عم رسول الله.

* ثورة عبَّاسيَّة: نهض محمد بن علي بن عبدالله بن عبَّاس لنشر الدعوة ، والتحريض على الدولة الأموية حتى اندلعت الثورة. وكان في اتفاق أهل خرسان والشيعة خير وسيلة لبلوغ مأربه . وعندئذٍ سطع نجم أبي مسلم الخرساني الذي زحف بالكتائب من مرو (قاعدة خرسان) إلى الكوفة ، فبويع أبو العبَّاس الملقب بالسفَّاح ونودي به خليفةً للمسلمين.

* هُزم الأمويون في معركة الزَّاب سنة ١٣٢هـ وقتلوا وشردوا ونجا منهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام.

* قامت الدولة العباسية على أمرين :تعظيم أمر الدين ، والاعتماد على الموالي. وأصبح العرب عنصرًا من بين العناصر الكثيرة المكونة للدولة الجديدة ، وقُدِّم عليهم الفرس، وبلغ الأمرُ أن أقصى بعضُ العباسيين العرب من مراكزهم ، وحملوا كثيرًا منهم على العودة إلى جزيرتهم لئلا يفسدوا عليهم أمرهم.

قسم العهد العباسي إلى ثلاثة أدوار:

١- دور القوة المركزية :(١٣٢- ٢٣٣) : يتسم بالعنصر الفارسي، ومن خصائصه أيضا: القوة وحدثت نهضة فكرية شاملة، وفيه ظهرت الترجمة، وبرز العنصر الفارسي

وهو أول دور ، وفيه بلغت الخلافة أوج عزها وعظمتها، وكانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد -تقريبا- من الهند إلى منتصف شمال أفريقيا(تونس). وفي هذا الدور استطاعت الخلافة العبَّاسية أن تفرض هيبتها على الرعيَّة ، وتقمع جميع الفتن الداخلية، وتواجه الروم البيزنطيين بحزم ومناعة. وازدهرت بغداد أيما ازدهار، ولا سيما في عهد الرشيد والمأمون، وتدفقت عليها ثورة الإمبراطورية، فعمَّ الرخاء وساد البذخ في جميع مرافق الحياة.

Scanned by CamScanner

علل: حدوث نهضة فكرية واسعة في الدولة العباسية؟

نشأت بفضل احتكاك العرب بالحضارات المدنيَّة المجاورة نهضةٌ فكريَّة واسعة، وكان الخلفاء والوزراء يمدونها بمالهم وجاههم، ويشجعون أرباب العلم والأدب، ويتنافسون في إنشاء الدور لنشر الثقافة ونقل الآثار الفارسية والهندية واليونانية إلى اللغة العربية. وما هي إلا سنوات حتى تداولت أيدي العرب كتب أرسطو وأفلاطون وجماعة أفلاطون الحديثة، وكتب جالينوس وأبقراط في الطب، وكتب بطليموس وإقليدس في الفلك والرياضيات.

٢- دور الجندية: (٢٣٢- ٣٣٤) : (يتسم بالعنصر التركي - فيه اضطرابات وفتن واستمرت الحركة الثقافية والأدبية)

في الدور الثاني دور الجندية سيطر الجند الأتراك على مقدَّرات الأمة، وعلا شأنهم حتى كان لهم النفوذ والسيطرة. وذلك أن المعتصم استقدم عددًا كبيرًا من الأتراك ونظَّمهم في جيشه، ولما ضاقت بهم بغداد وساءت معاملاتهم للعرب والفرس بنى المعتصم سامراء وأنشأ فيها داره ونزح هو وعسكره إليها ، فأصبحت حاضرة الخلافة.

وقد حاول المتوكل أن يكبح جماحهم وعزم على قتل وصيف وبُغا وغيرهما من القوَّاد ، فكان أن قتلوه في قصره وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان. وراح ثمَّ نفوذهم يشتد، فعمَّت الفوضى وساد الفساد.

وبسبب هذه الفوضى عظُم أمر القرامطة الذين بعثوا القلق والاضطراب في العراق والحجاز واستولوا على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، وكانت لهم غزوات متتابعة إلى جهة البصرة يريدون الاستيلاء عليها. وقد توالت في هذه الفترة ثوراتُ العلويين الذين عمل بعض الخلفاء على اضطهادهم وتشريدهم وتشديد النكير عليهم.

٣- دور الإمارات : (٣٣٥-٦٥٦): كثرت في هذا الطور الدول المستقلة، وتطور الأدب تطورًا كبيرًا بسبب التنافس الشديد.

هو دور الدول المستقلة ومن أشهرها: السامانية والحمدانية والبويهية والأخشيدية والفاطمية وآخرها السلجوقية. هذه الدويلات المنشقة تتبع الخلافة العباسية صوريًّا فيُدعى على المنابر للخليفة وتنضوي تحت لواء اسمها ، لكنها مستقلة في إدارتها لشؤونها وفي حكمها. وكانت الساحة تموج بالصراعات والخلافات بسبب المطامع السياسية لكل أمير ، وهذا الصراع أفاد منه الأدب كثيرًا ، فالتنافس بين الأمراء على التقدم وعلى حيازة الوجاهة والسلطة غذَّى حركة الأدب فنشط التأليف وتكاثر الشعراء بأبواب الأمراء المحبين للأدب، وحرص أمراء الدول على استقطاب أمهر الكتبة وأفضل الشعراء ليخلعوا على بلاطهم معنى السيادة والرقي، وأجزلوا لهم العطاء كي يستأثروا بأكبر عدد منهم كما فعل سيف الدولة الحمداني.

* انتهت دولة العباسيين بعد أن هاجمها هولاكو المغولي سنة ٦٥٦هـ

* وفيما كانت السياسة تتقلب في أطوارها المتباينة كان الأدب يسير سيرا مطَّردًا تغذوه الحضارة والثقافة. وتوجهه الأحوال الاجتماعية والتقاليد العربية.

Scanned by CamScanner

الحياة الجديدة وأثرها في الأدب

١/ الصراع بين القديم والجديد:

لا غرو أن الانقلاب السياسي مع ما رافقه من طغيان العنصر الأعجمي وانتفاض الشعوبيّة ، قد أحدث هزة في الكيان العربي، ولم يكن من السهل انصهار العقليات في وقت سريع، فنشأ صراعٌ شديدٌ شبيه بالصراع العصبي الذي كان قائمًا بين القبائل ، وكان لهذا الصراع دويٌّ بعيد في المجتمعات، وقد انتقل إلى صفوف العلماء والأدباء ، فأخذت جماعة من علماء العجم وأدبائهم يكابرون العرب ويفاخرونهم بمدنيَّاتهم الراقية ، ويهاجمون التقاليد العربية ، والأساليب العربية في ثورة ونقمة ، ويعيبون عليهم بعدهم عن أسباب الحضارة، واستحر الخلاف وتجاوز الشعر إلى النثر وإلى علوم اللغة وعلوم البلاغة والنقد ، وأُلفت كتب كثيرة في مثالب العرب ، وكتب أخرى في فضائل الفرس وغيرهم .ومن أشهر هؤلاء الشعوبيين أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وكاتب البرامكة سهل بن هارون ،والشاعران بشار بن برد وأبو نواس.

لم يقف أنصار العرب صامتين إزاء هذه النزعة ،فقد أخذوا يردون على أصحابها ، ومن أشهر من اضطلعوا بالرد والدفاع عن العرب الجاحظ في "البيان والتبيين" ، وابن قتيبة في رسالة سماها"كتاب العرب".

وكان لذلك تأثير في حركة النثر حيث:

- ظهر التجديد في النثر مع ابن المقفع الذي اتبع أسلوب عبدالحميد الكاتب ، وأعرض عن الإيجاز العربي القديم فكرا وأسلوبا، وراح يعالج الحقائق الاجتماعية والسياسية ، وينقل حضارة الفكر الهندي واليوناني والفارسي إلى العرب.
- نشأ التصنيع المزخرف والتنميق في الكتابة كما يظهر عند بديع الزمان الهمذاني.
- حافظ كتّابٌ على خطة العرب الأصيلة في الكتابة مع الإفادة من نفحات المدنيَّة الجديدة وتنميق الحياة العباسية مثل الجاحظ.

٢/ تأثير حركة الترجمة :

كان للترجمة تأثير كبير في توجيه الأدب فبفضلها شاعت في الأدب نزعةُ الجدل والترابط الفكري ، والابتكار ، وتعليل الظاهرات واستنتاج الدروس الحياتية. ولكن هذا التأثير الذي قلب وجه النثر الفني لم يتمكّن من تبديل مجرى الشعر الذي حافظ على شخصيته القديمة رغم ترجمة كتاب "الشعر" لأرسطو. وخضع الشعر إلى النظر والفكر والقياس وتأثر بالفلسفة أحيانا.

٣/ البيئة وأثرها:

أ/ الأدب العباسي (أدب القوميات) أو (أدب الإقليمية) :نُسب الأدب العباسي إلى العباسيين على وجه التغليب لأنه نشأ وترعرع في ظلهم وهو في الحقيقة أدب العباسيين في بغداد ، والبويهيين في فارس، والحمدانيين في الشام ، والفاطميين في مصر والمغرب وقد تجلت في (أدب القوميات) أو (أدب الإقليمية) آثارُ الشخصية الإقليمية بوضوح. ففي حلب ظهرت الخطب الدينية لكثرة الحروب الغزوات التي كان يشنها

Scanned by CamScanner

سيف الدولة على الروم ، وتحلى الشعر الشامي بالفصاحة والجزالة والصفاء لقرب أهل الشام من خُطط العرب واختلاطهم بأهل الحجاز وابتعادهم عن موطن الثقافة الجديدة، وظهر في أدب أهل العراق أثر الفلسفة مع بعض الضعف والفساد لمجاورتهم الأعاجم والمداخلة معهم ، وكذلك ظهرت المقامات وشعر التسول والأدب المكشوف والأسلوب المحلى بالسجع والبديع في فارس والعراق.

ب/ النزعة الشعبية : بسبب التغيرات الكبرى في الظروف والتفاوت بين الناس ؛ انصرف قسمٌ كبير من الأدب إلى صفوف الشعب وإلى الحياة الواقعية وعالج العواطف العامة التي تتصل بالنفوس جميعا ولم يُجعل وقفا على الخاصة وعلى الأهواء. هذا ظاهر في أدب الجاحظ وأبي نواس.

ج/ نزعة تقليدية: بسبب حاجة الخلفاء والقواد إلى الشعر البطولي الذي يشبع رغباتهم فتحوا أبوابهم أمام شعراء ذوي نزعة بدوية مثل أبي تمام والبحتري ، وشجعوهم على التكسب بالأدب.

* * *

ميزات النثر العباسي .. نظرة عامة :

- ظهرت آثار المدنية العباسية والتفكير العباسي في النثر أكثر مما ظهرت في الشعر.
- ضعفت الخطابة في هذا العصر شيئا فشيئا ؛ لضعف الدواعي إليها ولضعف القدرة عليها. ومن أكبر دواعي الخطابة روح العصبية والحزبية. ففي صدر العهد العباسي ظلت أسباب الخطابة قوية لما جرى من انقلابات خطيرة وما ظهر من دعوات مذهبية حادة ، وثورات اجتماعية عنيفة ، ولم يكن اختلاط العرب بالأجانب بعدُ شديد الأثر على الألسنة ، فكان للخطابة إذ ذاك شأنٌ يذكر، فتعددت موضوعاتها وتشعبت مناحيها. ثم أخذ ظلها يتقلص عندما استحكم الأمر لبني العباس وأصبح الفضل للسيف والسلطان لا للسان ، وعندما خبت نارُ الأحزاب والثورات وضعفت الفصاحة العربية ، وانصرف الناس عن الخطابة إلى الثقافة والكتابة للإقناع ، وارتبطت الخطابة بالجوامع والمناسبات الدينية.
- تعددت فنون الكتابة فلم تعد مقصورة على الدواوين بل تعدتها إلى وصف الحضارة بما فيها من لهو وترف وقصور ورياض ، وإلى وصف النفس البشرية بما لها من نزعات وأهواء، ونقد الكتب وشرحها ، وبسط المسائل العلمية والدينية ، ورواية القصص والأخبار والمفاخرات ، والرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاستعطاف، والتصانيف العلمية والأدبية ومنها: المقالات ، والمناظرات ، والعهود ، والمقامات. لقد أصبح النثر في العصر العباسي متعدد الفروع ، فهناك النثر العلمي ، والنثر الفلسفي، والنثر التاريخي ، والنثر الأدبي الخالص. وكان في بعض صوره امتدادًا للقديم ، وكان في بعضه الآخر مبتكرًا لا عهد للعرب به مثل كتابات الجاحظ وسهل بن هارون.
- ظهر أثر الفلسفة والعلوم في النثر العباسي فاتسع مجال التفكير ، وظهرت المنهجية . وعُني الكتاب بربط الأسباب بالمسببات ، وتأثرت الكتابة بالآداب الفارسية فمالت إلى السهولة في العبارة ، والتأنق في اللفظ ،

Scanned by CamScanner

وإطالة المقدمات، وتنويع البدء والختام ، ومالت إلى الغلو والإكثار من الألقاب والدعاء ، ومالت إلى التفصيل والإطناب. وانحدر النثر إلى التنميق والزخرفة حتى تحول مع تقدم الزمن إلى مجرد صنعة.

– ظهر الأثر العربي في جزالة الكتابة والميل إلى الإيجاز في بعض الفنون كالتوقيعات.

* * *

عبدالله بن المقفَّع

– هو أبو محمد عبدالله بن روزبَة بن داذُويه المعروف بابن المقفع.

– ولد في بلدة جور وهي قريبة من شيراز سنة ١٠٦هـ ونشأ زرادشتيًا . ما الديانة الزرادشنية؟

– انتقل إلى البصرة وعمل في ديوان الخراج فاختلس مالا فضربه الحجاج حتى تقفعت يداه(تيبَّست) فلقب بالمقفع.

– كان شديد الذكاء دقيق الحس.

– أتقن العربية وطار صيته في الكتابة فاستُدعي إلى كرمان يكتب لعمر بن هبيرة ، ثم كتب لعيسى بن علي عمِّ السفَّاح والمنصور وأسلم على يديه وتسمى باسم عبدالله.

–كان مخضرمًا ، وفارسي النزعة، وعلوي السياسة ، يدين بالإسلام ظاهرًا ويأخذ بالتقية.

– قُتل سنة ١٤٢ قيل لزندقته وقيل لتشدده في كتابة الأمان لعبدالله بن علي عم المنصور، فلم يعش في الدولة العباسية إلا نحو عشر سنين ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة.

– قصة قتل عبدالله بن المقفع:

"يؤكد الجهشياري وكثير من المؤرخين أنَّ السبب في قتله ما كان من تشدده في كتابة الأمان الذي كتبه لعبدالله بن علي أخي عيسى وعم المنصور ، فإنه حين فشلت ثورته على ابن أخيه هرب منهزمًا من أبي مسلم الخراساني وقصد أخويه عيسى وسليمان بالبصرة. فكاتبَا المنصور في أن يؤمنه، ورضي بإعطاء الأمان، فأمر عيسى ابنَ المقفع بعمل نسخة لهذا الأمان ، فعملها ووكَّدها واحترس من كل تأويل يجوز أن يقع عليه فيها... وكان الذي شقَّ على أبي جعفر ما جاء في أسفل الأمان من أنه إذا غدر بعمِّه عبدالله فهو نفي من أبيه ومولود لغير رِشْدة ، وقد حلَّ لجميع أمة محمد خلعه وحربه والبراءة منه ، ولا بيعة له في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج م طاعته وإعانة من ناوأه عليه من جميع الخلق، وأنه إن فعل كان كافرًا بجميع الأديان ، ونساؤه طوالق، وعبيده أحرار. فغضب المنصور حين قرأ هذا الأمان وسأل عن كاتبه، فقيل له: ابن المقفع، فقال: أما أحد يكفينيه؟ وكتب فيه إلى سفيان بن معاوية ، وتصادف أن كان يضغن عليه ، فاستغل الفرصة وطلبه، فلما قدم عليه أمر بتنُّور فسُجر ، ثم أخذ يقطعه

Scanned by CamScanner

عضوا عضوا ويرمي به في التنور". وأكبر الظن أن هذا هو السبب الصحيح في مقتل ابن المقفع" من "الفن ومذاهبه في النثر العربي" ؛ شوقي ضيف، ص:١٣٥.

أهم آثاره:

لابن المقفع آثار عدة عرف منها:

١/ كليلة ودمنة .

٢/ الدُّرة اليتيمة أو الأدب الكبير.

٣/ كتاب التاج .

٤/ رسائل ابن المقفع وأشهرها رسالة الصحابة.

* * *

كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفَّع

١/ التعريف بكليلة ودمنة:

- كليلة ودمنة كتاب في الحكمة والأخلاق ، أجراه صاحبه على ألسنة البهائم والطير استثارةً للانتباه واستجمامًا للنفوس، وضمَّن حكاياته الخرافية تجارِب الحياة ، ومحصِّلات العقل. فهو حياةٌ مصغرة تجري موزونة بميزان الحكمة، وحكم العقل الذي يميز بين الخير والشر. وتؤدي ذلك شخصيات حيوانيَّة المظهر بشريَّة الحقيقة.
- هو هندي الأصل ، نقله إلى العربية ابن المقفع عن اللغة الفهلوية (الفارسيَّة القديمة). وهو من أشهر المؤلفات العالمية في موضوعه ، عمَّ نفعه كثيرًا من الأمم والشعوب ونُقل إلى عشرات اللغات. وقد مضى على تأليفه ما يقرب ألفي عام، وعلى وجود نصه العربي أكثر من ألف ومائتي عام.
- **الباعث على وضعه:**
- حكَم الهند بعد فتح الإسكندر ملكٌ يدعى دَبْشَلِيم، فبغى وظلم الرعية، وكان في عصره حكيمٌ من البراهمة يعرف باسم بَيْدَبا ، ساءه ما رأى من تصرفات الملك، ومن شقاء الناس، فعمد إلى وضع هذا الكتاب، مديرًا حكاياته حول الحيوانات، متخذًا منها رموزًا لأنماط من البشر، ممثلا الظُّلم ، والجهل ، والحسد ، والبخل ، والعدل ، والإخلاص ، والمودة، وكل ما يتميز به الإنسانُ من فضائل ورذائل، في سياق طريف من الحكايات، ينتهي من يطالعها بالاتِّعاظ ، واكتشاف مساوئ الشر، ومحاسن الخير.
- **رحلة الكتاب من اللغة الهندية إلى العربيَّة:**
- سمع بالكتاب كسرى أنو شروان ملك الفرس، وكان محبًّا للأدب والعلم والحكمة، فأرسل الطبيب

Scanned by CamScanner

بَرْزويه إلى بلاد الهند لاستنساخه. ولمَّا جيء به نُقل إلى اللغة الفهلوية، وأفادوا منه واحتفوا به احتفاءً كبيراً.

- وبعد ظهوره بالفارسية بمئتي عام قام عبدالله بن المقفع بنقله إلى العربية قَصْد الإفادة من هذا الأثر النفيس ، وإصلاح الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره ، ونقد التجاوز في الجهاز الحاكم والمظالم الناشئة عن جهل كل مسؤول حقيقة مهمته ، وكأنه أراد أن يقف من أبي جعفر المنصور موقف بَيْدَبا من دَبْشَليم . ويظهر المغزى البعيد الذي قصده المؤلف ثم الناقل من العناوين مثلا: في وجوب الاجتناب عن كلام الساعي والنمام ، في الحزم والتدبير، في العفو والصفح،.. إلخ.
- ومع اعتماد الكتاب ، أصلا، على الحيوانات في تمثيل المعاني العامة ، ففيه أيضا حكايات تقع أحداثُها ، ويدور حوارها بين شخصيات بشرية ، مثل قصة الملك وأصحابه ، والناسك والضيف، والناسك وامرأته.
- **البناء الفني لكتاب كلية ودمنة:**

ما الطريقة التي سلكها بيدبا في بناء كتابه؟

البناء الفني لكليلة ودمنة

دَبْشَليم يسأل وبَيْدَبَا يجيب

- مبني على المثل الخرافي(**حكاية خرافية مضروبة للتمثيل على معنى**) ، ويسير على طريقة أساسها السؤال والجواب ، فالملك الهندي دَبْشَليم ، الذي لا يعرف زمن وجوده، هو من يسأل ، وبَيْدَبَا الفيلسوف الحكيم هو من يجيب.
- وبيدبا هو رجل الحقيقة التي يعرفها ويريد نشرها في لين وسياسة ، يجيب في رصانة وبعد نظر ومعرفة عميقة لطبائع الناس وطبائع الحيوانات، ويجعل جوابه مثلاً يفصِّله في باب كامل من أبواب الكتاب، ثم يُدخل في هذا المثل الأكبر أمثالا صغرى يستشهد بها أبطال الحكايات على صدق ما يقدِّمون من آراء ، فتأتي الأمثال مركبة تركيبًا وثيقا متداخلا تداخلا يجبر القارئ على تتبع الباب من أوله إلى آخره بحيث لا تفوته الحكمة. ففي كل باب موضوع مطروح للبحث ، ومنظور إليه

Scanned by CamScanner

لغة كليلة ودمنة : فصيحة، ورفيعة، وسهلة، يقل فيها السجع

★ والعبارات في كليلة ودمنة طويلة لإيصال الحكمة

إذ يتميز القص الهندي بالتوالد السردي ..

من مختلف نواحيه عن طريق التمثيل. وسوق هذه الحكايات المثلية وتواليها يُسمى (مفهوم) بـ"التوالد السردي"، وهو أحد خصائص القص الهندي ، وهو يظهر في حكايات "ألف ليلة وليلة" أيضًا ذات الأصل الهندي.

- **طريقة بناء المثل في كليلة ودمنة:**
- يأتي المَثَل إما إطارًا لطائفة من الأمثال ، وإما برهانًا على قضية من القضايا ، وإما شاهدًا على برهان.
- الأمثال متفاوتة في الطول فمنها الطويل الذي يستغرق الباب كله ، ومنها القصير الذي يقع أحيانا في بضعة أسطر ، ومنها متوسط الطول.
- والأمثال لها بداية وعقدة وحلّ ، وهي تمضي في تباطؤ غالبًا ، تنقله الحكمة التي هي الغاية وهي الجوهر.

(عالي) (تشبيهة بفن القصة ..) (لتحقيق الغاية من هذه الحكايات وهي الحكمة ..)

- **سبب تسمية الكتاب:**

اسم الكتاب مستقى من البابين الأوَّل والثاني حيث تدور الحكايات حول اثنين من بنات آوى أحدهما كليلة والآخر دمنة. والبابان هما: باب الأسد والثور، وباب الفحص عن أمر دمنة.

٢/ أهمية كتاب كليلة ودمنة

- **القيمة الفكرية:**
- الكتاب كنز من كنوز الحكمة البشرية ، وفيه فلسفة اجتماعية أخلاقية واسعة النطاق. وتلك الفلسفة هي مزيج من أفلاطونية وأرسطوطالية وهندية شرقية.
- النزعة الأفلاطونية ظاهرة في المثالية ، وخصوصا في التنظيم الاجتماعي حيث يسود العدل ، وحيث ترتبط الفضيلة بالعلم.
- النزعة الأرسطوطاليسية ظاهرة في إخضاع كل شيء للعقل والتقسيم المنطقي لكل شيء.
- والنزعة الهندية الشرقية ظاهرة في التشاؤم ، فالحياة عبودية وكل شيء ترهات وأباطيل ولذلك دعت الفلسفة الهندية إلى التقشف والزهد.
- **القيمة التاريخيَّة:**
- يكشف عن عادات الهنود ونزعاتهم ، وأحوالهم الاجتماعية كالعداوة بين البراهمة والبوذية، وطقوس عباداتهم ، ونظرتهم السيئة للمرأة. وهو يطلعنا على عقلية الفرس ونظرتهم الزهدية ومثلهم العليا ، كما يطلعنا على فتح الإسكندر ، وعلى بلاطات الملوك في العصور القديمة وما كان يجري فيها

Scanned by CamScanner

من سعايات ومكائد. ويطلعنا أيضا بطريقة غير مباشرة على بعض أحوال الدولة العباسية وما كانت بحاجة إليه من إصلاح.

٣/ المنمنمات الإسلامية فن الإدهاش المعجز:

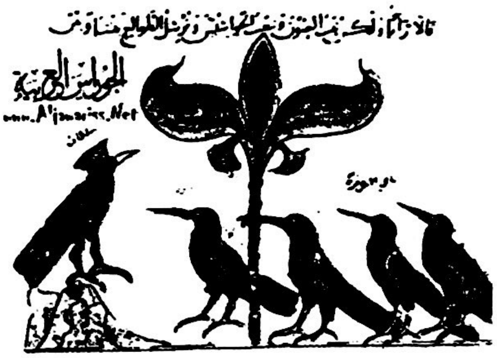

- "المنمنمة" اصطلاح أطلق على الرسوم التوضيحية التي رافقت بعض الكتب العربية والإسلامية، خاصة «مقامات الحريري» و«كليلة ودمنة» وغيرهما، ثم أصبح هذا اللون من الرسم والتصوير فنًا قائمًا بذاته، يمكن اعتباره نوعًا من «التصوير الإسلامي» الذي تابعه باجتهاد فنانون روّاد في مراحل تاريخية مختلفة، وفي العديد من الدول العربية والإسلامية، خاصة بغداد العباسية، وإيران وآسيا الصغرى.
- على الرغم من كل ما قيل حول كراهية التصوير في الإسلام، أو تحريمه فقد اشتغل العرب في هذا الفن، فنما على أيديهم، بعد أن كانوا مقلدين فيه، إلى أن أصبح شاهدًا حيًا على مظهر من مظاهر الحضارة العربية، ومعبرًا عن تفتح الشعور العربي، ومتميزًا بطابع خاص، منذ بداية القرن الثالث عشر، بما يمثله من مدرسة عربية خالصة.

* * *

Scanned by CamScanner

شاع بين المؤلفين القدماء عزو سبب التأليف إلى استجابتهم لطلب شخص ما.. قد يكون ملكًا، أو وزيرًا، أو صديقًا معلومًا، أو صديقًا مجهولًا.. لماذا؟

ماذا يقول عبدالفتاح كليطو عن كليلة ودمنة في "زعموا أنَّ"من كتاب "الحكاية والتأويل" ؟

- لم يؤلف بيْدَبا كتاب كليلة ودمنة من تلقاء نفسه ، وإنما استجابة لرغبة دَبْشَليم فهو الذي أمره. كل ما فعله دَبْشَليم أنه طلب من بيدبا تأليف الكتاب ، فإذا بيدبا يجعله يقترح موضوع كل باب من أبواب الكتاب فبتنا نسمع صوت الملك واضحًا. وإذًا يحرص بيدبا أن تكون لدى المتلقي رغبةٌ في السرد حتى يضمن متابعة يقظةً ومتحمسة.
- والدعوة يتم التعبير عنها بصيغة قد تختلف من حكاية إلى حكاية : حدثني عن ، أخبرني، اضرب لي مثلا ... إذْ ذاك يشرع بيدبا في عرض بعض الحكم التي تكتسي صبغة عمومية ، ويختم خطابه الحِكَمي بجملة تشويقية من نوع :"ومن أمثال ذلك السنور والجرد اللذان اصطلحا لما وقعا في ورطة شديدة". فيسأل دبشليم: وكيف كان ذلك؟ هذا السؤال ينبئ عن رغبة في الإصغاء ومعرفة ماجرى، وبمجرد أن تظهر الرغبة في السرد تبدأ الحكاية :"زعموا أنّه كان بمكان كذا وكذا..".

أي إلى القصص والإصغاء..

- السرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة إلى اللوحة، وهذا ما تفعله عبارة: "زعموا أن" ، و"بلغني أنَّ" في ألف ليلة وليلة ، و"كان ياما كان" في مطلع القصص الشعبية ، و"حدثنا عيسى بن هشام" في مقامات الهمذاني. فالسرد الكلاسيكي والشعبي يحرص على افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة ، كذلك خاتمة معينة .

تسمى لازمة قصصية أو فاتحة السرد

- من هم الذين زعموا؟
- هم حكماء مجهولون يرتوي الناس من نبع حكمتهم ، ولا فائدة تُرجى من تعيينهم ، وهذه الصيغة التي لا تحمل الجزم تمنح الحكمة صبغة المطلق بحيث تصير قائمة بذاتها ولا تعتمد على أي سند أو مرجع معين.
- في كليلة ودمنة لجأ الحكيم بيدبا إلى حيلة وضع الأمثال على ألسنة الحيوانات ، ذلك لأنه لا يخاطب العقلاء فقط وإنما السخفاء كذلك ،لأنهم لا يستطيعون الاستفادة من الحكمة إذا هي عرضت عليهم بصفة مباشرة.

زعموا : هو فعل يدل على التشكيك ويستخدم في بداية الحكايات، رغم أنها تقول حكمة لأنها خرافية، فهي تقول حكمة لكنها تكون غير

Scanned by CamScanner

- السخفاء بحاجة إلى التعليم ، وبما أنَّ التعليم لا يكون فعالا إذا اكتفى بمخاطبة عقولهم فلا مندوحة من الاستعانة باللهو وبالغرابة. أما اللهو ففي اللجوء إلى السرد . وأما الغرابة فتكمن في جعل الحكمة والكلام البليغ على ألسنة البهائم والطير. وعندئذ ينجذب السخفاء إلى مضمون الكتاب فيتقبلون الحكمة وهم لا يشعرون.
- والحكمة تُطلب من أجل أن يُعمل بها ، وإلا فلا فائدة من طلبها. ومن هنا فالقراء على ثلاثة أنواع :
- ١/ القارئ السخيف الذي يتوقف عند السرد ؛ عند الهزل واللهو ، ويكتفي بالمتعة.
- ٢/ القارئ الفطن : الذي يتجاوز مرحلة السرد ويهتدي إلى الحكمة.
- ٣/ القارئ العاقل: الذي يستوعب الحكمة ويأخذ بها ، وهو القارئ المثالي.
- ذكر بيدبا في مقدمة كتابه أن في الكتاب سرًا لن يفطن إليه إلا القارئ الذي يدم النظر ويلتمس جواهر معانيه. هناك سرٌ مودع في الكتاب وبيدبا وحده هو القادر على إبرازه والإخبار به . فأي سر؟ وكل حكاية في الكتاب مسبوقة ومتبوعة بشرح مستفيض بحيث لا يبدو أنها محتاجة إلى توضيح إضافي يكشف معنًى خفيًا. إلا أن مجرد الإيحاء بوجود سر يجعل المطَّلع على الكتاب يرتاب ويتساءل عما قد يكون خفي عنه وغاب عن ذهنه أثناء القراءة.
- لا يسعنا إلا أن نبدي إعجابنا بالحكيم بيدبا الذي ألف كتابًا وأوهم القراء بوجود سر فيه بينما أغلب الظن أن لا سر فيه.

* * *

Scanned by CamScanner

كتاب

كليلة ودمنة

عبد الله بن المقفع

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

Scanned by CamScanner

قِلَّةُ الإنفاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهابِ كالكُحْلِ الَّذي لا يُؤْخَذُ مِنْهُ إلّا غُبارُ المِيلِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذٰلِكَ سَريعٌ فَناؤُهُ. وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ في غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ بِهِ مَواضِعَ اسْتِحْقاقِهِ صارَ بِمَنْزِلَةِ الفَقيرِ الَّذي لا مالَ لَهُ. ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ ذٰلِكَ أَيْضاً مالَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالحَوادِثِ وَالعِلَلِ الَّتي تَجْري عَلَيْهِ، كَمَحْبِسِ الماءِ الَّذي لا تَزالُ المِياهُ تَنْصَبُّ فيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفاضٌ[(١)] وَمُتَنَفَّسٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الماءُ بِقَدَرِ ما يَنْبَغي، خَرِبَ وَسالَ وَنَزَّ مِنْ نواحٍ كَثيرَةٍ وَرُبَّما انْبَثَقَ[(٢)] البَثْقَ العَظيمَ فَذَهَبَ الماءُ ضَياعاً. وَإِنَّ بَني الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبيهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ[(٣)] وَعَلِمُوا أَنَّ فيهِ الخَيْرَ وَعَوَّلوا عَلَيْهِ.

فَانْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ نَحْوَ أَرْضٍ يُقالُ لَها: مَيُونُ[(٤)]، فَأَتى في طَريقِهِ عَلى مَكانٍ فيهِ وَحْلٌ كَثيرٌ، وَكانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجُرُّها ثَوْرانِ يُقالُ لأَحَدِهِما: شَتْرَبَةُ، وَللآخَرِ: بَنْدَبَةُ. فَوَحِلَ[(٥)] شَتْرَبَةُ في ذٰلِكَ المَكانِ فَعالَجَهُ[(٦)] الرَّجُلُ وَأَصْحابُهُ حَتّى بَلَغَ مِنْهُمُ الجَهْدُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلى إِخْراجِهِ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ[(٧)] رَجُلاً يُشارِفُهُ[(٨)] لَعَلَّ الوَحْلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعَهُ بِهِ. فَلَمّا باتَ الرَّجُلُ بِذٰلِكَ المَكانِ تَبَرَّمَ[(٩)] بِهِ وَاسْتَوْحَشَ فَتَرَكَ الثَّوْرَ وَالتَحَقَ بِصاحِبِهِ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّوْرَ قَدْ ماتَ. وَقالَ لَهُ إِنَّ الإِنْسانَ إِذا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَحانَتْ مَنِيَّتُهُ فَهُوَ وَإِنِ اجْتَهَدَ في التَّوَقِّي مِنَ الأُمُورِ الَّتي يَخافُ فيها عَلى نَفْسِهِ الهَلاكَ لَمْ يُغْنِ ذٰلِكَ عَنْهُ شَيْئاً وَرُبَّما عادَ اجْتِهادُهُ في تَوَقّيهِ وَحَذَرِهِ وَبالاً[(١٠)] عَلَيْهِ.

مثل الرجل الهارب من الذئب

انموذج للتوالد السّردي

كالَّذي قيلَ: إِنَّ رَجُلاً سَلَكَ مَفازَةً[(١١)] فيها خَوْفٌ مِنَ السِّباعِ، وَكانَ الرَّجُلُ خَبيراً بِوَعْثِ[(١٢)] تِلْكَ الأَرْضِ وَخَوْفِها. فَلَمّا سارَ غَيْرَ بَعيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ

(١) مفاض: مكان يفيض منه.
(٢) انبثق: انثغر وانفجر.
(٣) أخذوا به: عملوا بموجبه.
(٤) ميون: وردت في بعض النسخ متور، وهي مدينة في الهند شمالي أجرا تدعى اليوم مطرة.
(٥) وحل: غاص في الوحل أي طين الأرض.
(٦) عالجه: حاول، جرّب.
(٧) عنده: أي عند الثور.
(٨) يشارفه: يطلع عليه.
(٩) تبرم: ملّ.
(١٠) وبالاً: سوء عاقبة.
(١١) مفازة: فلاة.
(١٢) وعث: وعوره.

Scanned by CamScanner

الذِّئابِ وَأَضْراها[١]، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئبَ قاصِدٌ نَحْوَهُ خافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَميناً وَشِمالاً لِيَجِدَ مَوْضِعاً يَتَحَرَّزُ[٢] فيهِ مِنَ الذِّئبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا قَرْيَةً خَلْفَ وادٍ فَذَهَبَ مُسْرِعاً نَحْوَ القَرْيَةِ.

فَلَمَّا أَتَى الوادي لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً وَرَأَى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ في المَاءِ وَهُوَ لا يُحْسِنُ السِّباحَةَ وَكادَ يَغْرَقُ لَوْلا أَنْ بَصُرَ بِهِ[٣] قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ فَتَواقَعُوا[٤] لإِخْراجِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى الهَلاكِ. فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلى نَفْسِهِ مِنْ غائِلَةِ[٥] الذِّئْبِ رَأَى عَلى عُدْوَةِ[٦] الوادي بَيْتاً مُفْرَداً فَقالَ: أَدْخُلُ البَيْتَ فَأَسْتَريحُ فيهِ. فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَماعَةً مِنَ اللُّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّريقَ عَلى رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مالَهُ وَيُريدُونَ قَتْلَهُ. فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذٰلِكَ خافَ عَلى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ القَرْيَةِ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حائِطٍ مِنْ حِيطانِها لِيَسْتَريحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الهَوْلِ وَالإِعْياءِ إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِ الحائِطُ فَماتَ.

قالَ الرَّجُلُ: صَدَقْتَ، قَدْ بَلَغَني هٰذا الحَديثُ. وَأَمَّا الثَّوْرُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكانِهِ وَانْبَعَثَ[٧]، فَلَمْ يَزَلْ في مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثيرِ المَاءِ وَالكَلأِ[٨]. فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالخُوارِ. وَكانَ قَريباً مِنْهُ أَجَمَةٌ[٩] فيها أَسَدٌ عَظيمٌ وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمَعَهُ سِباعٌ كَثيرَةٌ وَذِئابٌ وَبَناتُ آوى[١٠] وَثَعالِبُ وَفُهُودٌ وَنُمُورٌ. وَكانَ هٰذا الأَسَدُ مُنْفَرِداً بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذٍ بِرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحابِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ خُوارَ الثَّوْرِ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثَوْراً قَطُّ وَلا سَمِعَ خُوارَهُ خامَرَهُ[١١] مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ وَكَرِهَ أَنْ يُشْعِرَ[١٢] بِذٰلِكَ جُنْدَهُ فَكانَ مُقيماً مَكانَهُ لا يَبْرَحُ[١٣] وَلا يَنْشَطُ[١٤] بَلْ يُؤْتى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلى يَدِ جُنْدِهِ. وَكانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّباعِ ابْنَا

(١) أضراها: أقواها، تفضيل من قولهم سبع ضار.
(٢) يتحرز: يتوقى.
(٣) بصر به: لمحه.
(٤) تواقعوا: رموا بأنفسهم.
(٥) غائلة: شر.
(٦) عدوة: جانب.
(٧) انبعث: اسرع، خرج.
(٨) الكلأ: العشب.
(٩) أجمة: شجر كثير ملتف.

Scanned by CamScanner

أَدُلُّكَ على أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كانَ فِيه هَلاكُ الأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ وَتَكُونُ فيهِ سَلامَتُكَ.

قالَ الغُرابُ: ومَا ذاكَ؟

قالَ ابْنُ آوَى: تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ[١] في طَيَرانِكَ لَعَلَّكَ تَظْفرُ بِشيءٍ مِنْ حُلِيِّ النِّساءِ فَتَخْطَفَهُ وَلَا تَزالُ طائِراً واقِعاً[٢] بِحَيْثُ لا تَفوتُ العُيُونَ، فَإذا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ تَبِعُوكَ تَأْتي جُحْرَ الأَسْودِ فَتَرْمِي بَالحُلِيِّ عِنْدَهُ، فَإذا رَأى النَّاسُ ذٰلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وَأَراحوكَ مِنَ الأَسْوَدِ، فَانْطَلَقَ الغُرابُ مُحلِّقاً فِي السَّماءِ فَوَجَدَ امْرأَةً مِنْ بَناتِ العُظَماءِ عَلى شَاطِىءِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيابَها وَحُلِيَّها ناحِيَةً. فَانْقَضَّ وَاخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّها عِقْداً وَطارَ بِهِ. فَتَبِعَهُ النَّاسُ، وَلَمْ يَزَلْ طائِراً واقِعاً بِحَيثُ يَراهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى انْتَهى إلى جُحْرِ الأَسْوَدِ، فَأَلقَى العِقْدَ عَلَيْهِ والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إليهِ. فَلَمَّا أَتَوْا أَخَذُوا العِقْدَ وَقَتَلوا الأَسْوَدَ.

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا المثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الحِيلَةَ تُجْزِىءُ[٣] ما لَا تُجْزِىءُ القُوَّةُ.

قالَ كَليلَةُ: إنَّ الثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكانَ كَما تَقولُ، وَلٰكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأيِ والعَقْلِ، فَماذا تَسْتَطيعُ لَهُ؟

قالَ دِمْنَةُ: إِنَّ الثَّوْرَ لَكَما ذَكَرْتَ في قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ وَلٰكِنَّهُ مُقِرٌّ لي بِالفَضْلِ، وَأَنا خَليقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ[٤] كَما صَرَعَتِ الأَرْنَبُ الأَسَدَ.

قالَ كَليلَةُ: وَكَيفَ كانَ ذٰلِكَ؟

مثل الأرنب والأسد

قالَ دِمْنَةُ: زَعَمُوا أَنَّ أَسَداً كانَ في أَرْضٍ كَثِيرَةِ المِياهِ والعُشْبِ، وَكَانَ مَا في تِلْكَ الأَرْضِ مِنَ الوُحوشِ فِي سَعَةٍ منَ المِياهِ وَالمَرْعَى، إِلَّا أَنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُها لِخَوْفِها مِنَ الأَسَدِ. فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إلى الأَسَدِ فَقالَتْ لَهُ: إِنَّكَ لَتُصيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الجُهْدِ والتَّعَبِ، وَقَدْ رَأَيْنا لَكَ رَأْياً فِيهِ صَلاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنا، فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنا وَلَمْ تُخِفْنا فَلَكَ عَلَيْنا في كُلِّ يَوْمٍ دابَّةٌ نُرْسِلُ بِها إِلَيْكَ في وَقْتِ غَدائِكَ. فَرَضِيَ الأَسَدُ بِذٰلِكَ وَصَالَحَ الوُحوشَ عَلَيْهِ وَوفَيْنَ لَهُ بِهِ.

---

(١) تبصر: تطلب أن تبصر.

(٣) تجزىء: تغني وتكفي

(٢) ...

الجاحظ

* هو عمرو بن بحر ، وكنيته أبو عثمان ؛ أما لقبه الجاحظ فقد غلب عليه لنتوء حدقتيه.

* يُظن أنه ولد في العقد السادس من القرن الثاني للهجرة في البصرة ، ومنهم من يرى أنه ولد في عام ١٥٩هـ، واتفق الرواة على أن وفاته كانت في سنة ٢٥٥هـ في البصرة أيضا. ويبدو أنه عاش ما يقرب من المائة سنة (٩٦).

* طلب العلم في كتاتيب البصرة . وقد نشأ يتيما فقيرا حتى اضطر إلى العمل فباع السمك والخبز بسيحان.

* أخذ يتردد على المسجد وسوق المربد ، وكان يكتري حوانيت الوراقين يسجن نفسه فيها للمطالعة والتحصيل.

* قصد بغداد للتزيُّد من العلم، والتقى بكثير من العلماء وأخذ عنهم وناقشهم كالأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري والأخفش، والنظّام الذي تأثر به كثيرا واعتنق بسببه مذهب المعتزلة وشابهه في موسوعيته وفي الأخذ بمبدأ الشك.

* ذاع صيت الجاحظ وأنشأ فرقة معتزليّة باسم الجاحظيّة، واستدعاه المأمون وصدَّره في ديوان الرسائل، ولكنه استعفى بعد ثلاثة أيام . لماذا؟

* أخذ في الكتابة والتصنيف ،ونسب كتبه الأولى إلى ابن المقفع وسهل بن هارون ، ولما رأى رواجها وقبول الناس لها راح يعلن اسمه ويُصدِّر به مؤلفاته. وقد أصبح الجاحظ في عهد المعتصم رجل الساعة وأمير الكتابة. وكان صديقا للوزير ابن الزيات ينحاز له ويناله جوائزه.

* لما فتك المتوكل بابن الزيات وأحل محله أحمد بن أبي دؤاد ، هرب الجاحظ ، ثم لم يلبث أن قُبض عليه ، فعنَّفه المتوكل ، وعفا عنه ابن أبي دؤاد ، ثم صار نديما للوزير الفتح بن خاقان

* أصيب الجاحظ بالفالج (الشلل النصفي) في وقت مبكر ، وقد ألف كتاب الحيوان الذي قدَّمه لابن الزيات سنة ٢٣٣هـ وهو مفلوج. ثم أصيب بداء النُّقرس (الروماتيزيزم) وكان أبو عثمان في هذه المرحلة كلها منشغلا بآلامه ، وكان الناس منشغلين به. وظل كذلك إلى أن وقعت عليه مجلداته المصفوفة ، وهو عليل فقتلته. يقول المبرد: "دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال : كيف يكون مَنْ نصفه مفلوج لو حُزَّ بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرسٌ لو طار الذباب بقربه لآلمه".

٧ * كان قليل المال يسد حاجته، إذ لم يتزوج ولم يرزق الأولاد، إنما هو وجاريتان، وهذا كل ما في الأمر.

- **شخصيته(سمات الجاحظ):**

* قال أبو هفّان :" لم أرَ قط ولا سمعتُ من أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتابٌ قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان". وكان أشبه بآلة مصورة فليس هناك شيء يقرؤه إلا

Scanned by CamScanner

ويرتسم في ذهنه ، ويظل في ذاكرته آمادًا متطاولة.

* كان الجاحظ مفرط الذكاء سريع الخاطر والحفظ، وهو رجل العلم والعمل ، وثقافته موسوعية ، وهو رجل انفتاح ، ونزّاعٌ إلى التجديد.

* وكان طموحا نافس كبار الكتاب والمفكرين ، وأنشأ فرقة خاصة به تحمل اسمه ، واستعفى من رئاسة الديوان لأنه كما صرّح أراد أن يكون آمرًا لا مأمورًا.

* هو رجل جِدٍّ وهزْل ، ينظر إلى الحياة نظرة واقعيَّة فيعالجها بالجد طورًا والهزل طورا، فيستطيع بذلك أن يرضي كل الأذواق.

* وهو رجل عصامي معتمد على نفسه يصدف عن كل عمل فيه تملق وتزلف ومذلة ، ويميل إلى كل عمل فيه تحرٍّ واعتماد على العقل . قال الجاحظ :"إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول للآخر شيئا، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح".

* ذُكر للجاحظ نحو ثلاث مئة وستين مصنفًا في شتى فروع المعرفة ، حتى قال فيه المسعودي :"ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتبًا منه". ولعل الصواب أنها تبلغ نحوا من مئة وسبعين كتابًا. وقد ضاع جلُّها ولم يبقَ إلا القليل منها ككتاب الحيوان ، والبيان والتبيين، والبخلاء، ورسالة التربيع والتدوير.

* قال عنه ابن العميد: إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيًا.

* يُحكى عن ثابت بن قرّة العالم المشهور أنه قال : ما أحسد هذه الأمة إلا على ثلاثة أنفس : أولهم عمر بن الخطاب، والثاني الحسن البصري ، والثالث أبو عثمان الجاحظ.

* وآدم متز قرنه في كتابه "عصر النهضة في الإسلام" بفولتير أديب فرنسا الكبير في القرن الثامن عشر، وبعض كتبه كالبخلاء من أوائل المؤلفات التي اضطلعت اليونسكو بترجمتها إلى اللغات الأجنبية.

- ## سمات مؤلفات الجاحظ:

الواقعية –الاستطراد – التلوين الصوتي– الكلام في الشيء ونقيضه

١/ الواقعية:

الجاحظ شغوف بحكاية الواقع ، لا يتستر ولا يتخفى، ويذكر العورات والسوءات بلا مواربة ولا مداجاة ، ويرى أن من يعدل عن ذلك هو من أهل النفاق .

تأثير الواقعية في كتاباته :

* تمثل كتاباته عصرَه تمثيلا دقيقًا بحيث تُعدُّ أعمالُه أهم مراجعَ تكشف لنا حقائق العصر الذي عاش فيه.

Scanned by CamScanner

عللي: سبب شيوع السجع في النثر العباسي؟
يرجع إلى كتاب (النثر الفني) لزكي مبارك..

عللي: تعدُّ كتابات الجاحظ مرجعًا اجتماعيًا؟

* التدقيق في ألفاظه وانتخابها بحيث تلائم ما يصفه أو يصوره حتى إنه ليحكي كلام المولدين والعوام بما فيه من لحن وخطأ ، ولا سيما وهو من أكثر الدعاة إلى فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

* عزوف الجاحظ عن الأخيلة من تشبيهات واستعارات إلا ما جاء عفو الخاطر للإيضاح لا للتجميل والتزيين ؛ لأن في الأخيلة مبالغات قد تستر الحقيقة أو تزيفها.

٢/ الاستطراد :

يكثر لديه الانتقال من موضع إلى آخر فلا يكاد يمضي في وجهةٍ واحدة طويلا. والاستطراد ليس من سمات العرب في الكتابة ، وقد أخذه الجاحظ عن الكتب المترجمة(من يتصفح كليلة ودمنة يجد ظاهرة الاستطراد واضحة)، وكان هو أول من ابتدعه في المؤلفات العربية. لماذا؟

أ- اعترف الجاحظ بأنه يعمد إلى الاستطراد خشية ملل القارئ وسآمة السامع.

ب- إصابة الجاحظ بالفالج أدخل الخلل على تأليف كتابيه الحيوان والبيان والتبيين ، فظهر فيهما الاستطراد ، يقول الجاحظ في حيوانه:" قد صادف هذا الكتابُ مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه: أولُ ذلك العلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب. فإن وجدت فيه خللا من اضطراب لفظٍ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشيء في غير موضعه فلا تنكر بعد أن صورتُ لك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي".

ج- ثقافته الواسعة بجميع معارف عصره من هندية وفارسية ويونانية وإسلامية وعربية ساعدته على التشعب والانطلاق في الحديث في مجالات شتى.

٣/ التلوين الصوتي:

عللي: شيوع أسلوب (الاستطراد) في كتابات الجاحظ؟

يعتمد الجاحظ على العنصر الموسيقي اعتمادًا واضحًا ، ويحرص على هندسة الجمل، والعناية الفائقة بالأسلوب ليصل إلى أنواع مختلفة من الإيقاعات الصوتية ، دون الاعتماد على شيء من ألوان البديع ، إلا أن يأتي عفوًا دون تكلف أو استكراه، وتقوم الموسيقى عنده على مزيج من الازدواج والمقابلة بين الجمل، والترسل العذب والتقسيم بين الجمل، والترديد والتكرار ، والسجع أحيانًا ، فقد مال عنه إلى ضروب من الإيقاعات لأنه يقيّده ويحدُّ من حريّته في تأليف كتبه ورسائله الطويلة .

أما التكرار فله صلةٌ ببيئة المتكلمين ومناظراتهم من جهة، وبرغبة الجاحظ في توضيح المعنى من جهة أخرى، فكان لهذا يؤدي الفكرة الواحدة في أكثر من عبارة باستخدام المترادفات والمتقابلات، ليوضح فكرته وليحصل على الموسيقى المطلوبة. على أن للتكرار علاقة قوية بظروف الجاحظ الصحية بعد أن تجاوز منتصف العمر، إذ لم يعد باستطاعته كتابة رسائله وكتبه، فكان يملي على ورّاق أو أكثر، ومن هنا كثر التكرار والترادف، واتسمت بعض كتبه بسمة المحاضرات ، فكثر فيها التكرار والترادف ، وحملت طابع كتب الإملاءات من حيث الخلل والاستطراد والإيجاز في بعض الأشياء

Scanned by CamScanner

غاية تأليف الجاحظ لكتابه (البخلاء) في رأي (عبدالفتاح كيليطو)..

مدح البخل؛ وذلك ظاهرٌ في المدح المضمر، ولتزيين البخل والتسويق له، وإنطاق البخيل بالحكمة!..

- البخلاء لايتحدّثون من لدن أنفسهم، وإنما إذا خوطبوا.. لماذا؟

- لماذا يسوق الجاحظ ثلاث رسائل في مدح البخل، بينما أورد رسالةً واحدةً فقط، في ذمّ البخل..
فيتبين المرء أنّ ذلك أيضًا كان لتسويق ظاهرة البخل!..

- ٣/ شبّه عبدالفتاح كيليطو موقف الكاتب من قارئه؟. شبهه بموقف شهرزاد مع شهريار..

☆ كيف استمال الجاحظ قارئه (برأي كيليطو)؟

١) بالاستطراد ٢) وبالتنوّع في المواد ٣) وبعرضه وجهات نظر مختلفة

٤) وبمخاطبة القارئ والسعي إلى إشراكه، واستفزازه وتوريطه..

١/ يتبادر إلى الذهن أنّ الجاحظ ألّف كتابه ضدّ البخلاء، وهو ما يعتقده جلّ من كتبوا عنه، ولو اقتصر الجاحظ على هذا الجانب، لكانت فائدة الكتاب ثانوية..
فبداية الكتاب يكتنفها الإبهام والازدواجية: الاشمئزاز من البخلاء يصاحبه إعجابٌ بهم، وهجاء شحّهم وتفسيرهم يرافقه امتداح فصاحتهم وبيانهم..

٢/ لايبادر البخلاء إلى الجدال، فهم في موقف دفاعيّ، ولايتكلمون إلا عندما يُلامون أو يُستفزّون.. وعندما نتأمل الكتاب، نجد أنّ خطابهم أغزر، وأرحب من خطاب مناوئيهم، سواء أتعلّق الأمر بخطابهم الشفوي أو المكتوب..

٣/ يمكن من عدّة جوانب، أن نعدّ كتاب البخلاء موجّهًا ضدّ ثقافة الكرم، وضد القيم التي ينقلها الشعر الجاهلي، ويحثّ عليها.. لأنّ الزمن تغيّر، والفضاء المكاني كذلك، ولم يعد من اللائق في مركز حضارية كبرى كالبصرة، الإبقاء على قيمة الكرم التي تقتضيها العشيرة في الصحراء!، كما لم يعد للعرق والأصل أهمية كبرى في السياق الحضاري الجديد..

٤/ بخلاء الجاحظ لايتعاطون الشعر ولايقرضونه، وإنما يتعاطون النثر وحده..
وإنّ تبخيس الكرم يتماشى مع تبخيس الشعر، وإعلاء شأن البخل يرافقه إعلاء شأن النثر..

(من كتاب: الأدب والارتياب لعبد الفتاح كيليطو..)

Scanned by CamScanner

المهمة ، والإطناب والتفصيل في بعض الأشياء التافهة.

ومن ترسله الممزوج بالسجع والازدواج قوله في مستهل "الحيوان":

"جنَّبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا، وحبَّب إليك التثبُّت، وزيَّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزَّ الحق ، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذلَّ اليأس، وعرَّفك ما في الباطل من الذِّلة، وما في الجهل من القِلَّة".

٤/ الكلام في الشيء ونقيضه:

عرف الجاحظ بالمقدرة على التحول والتنقل ، وإحقاق الباطل وإبطال الحق، وتزيين القبيح وتقبيح الحسن، والمحاورة والمناورة، والاستعانة بالمنطق إلى أقصى درجة، لتدعيم رأيه، أو تدعيم ما يريد، وفي سبيل ذلك قد يلجأ إلى المغالطة والسفسطة والقياس الفاسد، وكثيرا ما كان يدافع عن آراء لا يدين بها، ثم يعود فينقضها ، فهو يؤيد العثمانية ضد الرافضة ، ثم يؤيد اليزيدية على العثمانية وعلى أهل السنة ، ويمدح الكُتَّاب ويذمهم، ويمدح العروض ويذمه، ويمدح جمع الكتب في مجلدات ، ثم يذم جمعها في مجلدات.

وهذا الصنيع من الجاحظ لا يخرج عن الرغبة في إظهار المقدرة الجدلية والبيانية والعلمية ، والمعتزلة اشتهرت بصفة عامة بذلك.

كتاب البخلاء:

*علة تأليف الكتاب :

ذكر الجاحظ في مقدمة كتابه أنه ألَّف كتاب البخلاء نزولا عند طلب أحد أصحابه: " ذكرت – حفظك الله– أنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار، وفي تفصيل حيل سُرَّاق الليل، وأنك سددت به كل خلل ،وحصَّنت به كلّ عورة، وتقدمت بما أفادك من لطائف الخدع، ونبَّهك عليه من غرائب الحيل، فيما عسى ألا يبلغه كيدٌ، ولا يحوزه مكرٌ وذكرتَ أن موقع نفعه عظيم، وأن التقدم في درسه واجب وقلت: اذكر لي نوادرَ البخلاء، واحتجاجَ الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزْل، وما يجوز منه في باب الجد، لأجعل الهزل مُستراحا، والراحة جماما؛ فإن للجد كدا يمنع من معاودته، ولا بد لمن التمس نفعه من مراجعته".

فكان هذا الكتاب في ظاهره الإمتاع الفني والفكاهة والتسلية ، وباطنه السخرية اللاذعة والنقد الجارح الذي فيه فضح لهؤلاء البخلاء والتشهير بهم نظرا إلى خروجهم عن مذهب الأمة وأخلاقها المحمودة.

ولكن الهدف الحقيقي هو مهاجمة الشعوبية فهو يرفضها ويتصدى لتيارها، لأن دعاة الشعوبية يردُّون على العرب فخرهم التقليدي بالكرم ويقولون إن أكثر هذا الفخر كلام لا يفي بالفعل ونوع من النفج لا حقيقة له.

Scanned by CamScanner

علل: غلبة النثر على السجع في العصر العباسي؟

1- لغلبة الصنعة الفنية على العصر، وشيوع الترف والتنميق، وفشوّ مظاهر الحضارة، فانعكس ذلك على اللغة، فصار النثر موقّعاً منغّماً..

2- ولتأثر العرب بترجمات الفرس، فالفرس يتأنّقون بنثرهم..

3- ولأنّ الكتّاب صاروا حريصين على الاقتراب من لغة الشعر

طريقة الجاحظ لمعالجة موضوع البخل

أ) بكثرة المطالعة

ب) وبالتحرّي والمراقبة والمشاهدة..

لماذا شاع بين المؤلفين القدامى عزو تأليف الكتاب إلى طلب صديق أو ملك أو شخص ما؟

قد يكون مردّ هذا السلوك إلى:

1/ التواضع

2/ الحذر ولأن هذا المسلك فيه نوع من الحماية

3/ الرغبة في الإعلاء من شأن الكتاب ومنحه سمة الضرورة..

Scanned by CamScanner

لماذا شاع بين المؤلفين القدامى ذكر أو عزو تأليف الكتاب إلى طلب صديق أو ملك أو شخص ما؟

قد يكون مرد هذا السلوك إلى: ١) التواضع

٢) أو الحذر.

٣) أو الرغبة في الإعلاء من شأن الكتاب ومنحه سمة الضرورة.

طريقته في معالجة موضوع البخل :

١/ طريق المطالعة. هذا المسلك فيه نوع من الحماية

٢/طريق التحري.

فصاغ النتيجة في قالب من القصص المفكه، ومزج الجد بالهزل تمشيًا على خطته المعهودة. وجاء الكتاب خلاصة خبرة صاحبه ، ومجموعة معلوماته ، وصورة لناحية البخل والاقتصاد في مجتمعه.

* مادة الكتاب :

* تنطوي المقدمة على دراسة نفسية البخلاء واحتجاجهم للبخل في تصرفاتهم ، وشذوذهم في تفكيرهم، وطرائق تمويههم ، وفطنتهم لعيوب غيرهم.

* ثم أتبعها برسالة لسهل بن هارون في الدفاع عن مذهبه في البخل.

* ثم عرض لأهل خرسان ولا سيما أهل مرو فأظهر أنهم مطبوعون على البخل وساق عنهم كثيرًا من النوادر.

* ثم ينتقل إلى أهل البصرة من المسجديين فيجد أن البخل عندهم كالنسب يجمع على التحاب، ويرى أن البخل عندهم اقتصاد فني ، وأنهم يحرصون على الاستفادة من كل شيء.

* ويظل ينتقل من شخص إلى آخر ممن اشتهروا بالبخل ، ثم يورد رسالة أبي العاص في ذم البخل ومدح الكرم، وجواب ابن التوأم على رسالة ابن الثقفي. وينهي كتابه بذكر أطعمة العرب.

رسالة واحدة في ذم البخل.

- **قيمة الكتاب :**

ما هي قيمة كتاب البخلاء؟ أو مميزاته.

* يكشف هذا الكتاب عن براعة الجاحظ العجيبة في رسم نفسية البخيل، ومقدرته على التغلغل بين طوايا النفس البشرية ، وتفهّم نزعاتها ، وتحليل أعمالها وبواعثها وأغراضها، وعلى مهارته في الجمع بين النظر والتطبيق.

* يظهر الكتاب كيف أن البخل فتّق مواهب البخلاء وأنطقهم بالحكمة والطب وفلسفة الاقتصاد والاجتماع ، فباتوا على معرفة عميقة بأحوال الناس وعقلياتهم، وعلى إدراك دقيق لأمور لا يفطن لها إلا كل دقيق النظر. ولذلك الكتاب حافل بالفوائد الاقتصادية والاجتماعية.

* في الأخبار التي يسوقها الجاحظ تدقيق في التفاصيل ، وتشويق ، وتصوير للواقع فيبرزه كما هو بألفاظ تدل على جميع عناصره وتوضح جميع خفاياه ، ويوشّي كل ذلك بسخرية فنية محببة للنفس . ← رأي حنا الفاخوري

* **قال أحمد أمين:** :"لقد كان أكثر الأدب قبل الجاحظ أدبًا لا موضوع له، فاستطاع الجاحظ أن يجعل للأدب موضوعا، وجعل موضوعه كل شيء في الحياة حتى اللص والجارية والتاجر والنبيذ والمعلم ، وقد كتب في كل ذلك وكتب في البخيل وكانت كتابته فيه أكثر مرحا وأكثر تفنُّنًا وأكثر إبداعا".

Scanned by CamScanner

كيف رأى عبدالفتاح كليطو العلاقة بين الجاحظ وقرائه في كتابه "الأدب والارتياب"؟

- يقول: إذا كان الناس كلهم أعداء الكاتب، فهل الكاتب من جهته عدو الناس كافة؟ على الأقل يعرف أنه محل ريبة لمجرد أنه يكتب ، فكأنه مقترف لذنب يجب التكفير عنه؛ ولذلك تراه يتودد إلى القراء ويفاوضهم سعياً منه إلى استمالتهم وإضعاف شوكتهم وإبطال كراهيتهم. ولا أعرف مؤلفًا اهتم بالقارئ العدو كما فعل الجاحظ ، فهو يشركه في مشاريعه ويدعو له ("حفظك الله...") ("أكرمك الله...") ، وفي كل لحظة يلتفت إليه ليتأكد من انتباهه ويذكي اهتمامه . إذا سلمنا بأن القارئ عدو، فالنتيجة الحتمية أن كل كاتب في وضعية شهرزاد ، وكل قارئ في وضعية شهريار!

Scanned by CamScanner

البخلاء

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تقديم وضبط وتدقيق وشرح وفهرسة

د. يوسف الصميلي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

Scanned by CamScanner

* يتسم خطاب البخلاء بالغزارة والدفاع عن مذهبهم في أسطر عديدة ..
* بخلاء الجاحظ لا يقرضون الشعر! إنما يتعاطون النثر..
* تبخيس الشعر يتماشى مع تبخيس الكرم..

قصة أهل البصرة من المسجديِّين (١)

قال أصحابُنا من المسجديين:

اجتمع ناسٌ في المسجد، ممن يَنتَحِلُ الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهبُ صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحابّ، وكالحِلف الذي يجمع على التناصُر. وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماساً للفائدة، واستمتاعاً بذِكره.

فقال شيخٌ منهم:

ماءُ بئرنا كما قد علمتُم، مالحٌ أُجاج، لا يقرَبه الحمار ولا تُسيغه الإبل وتموتُ عليه النخل، والنهرُ منا بعيد وفي تكلف العَذْب علينا مؤنة. فكنّا نمزجُ منه للحِمار، فاعتلّ منه وانتقض علينا من أجله، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذْبَ صِرفاً. وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسلُ بالعذب مخافةَ أن يعتريَ جلودَنا منه مثلُ ما اعترَى جوفَ الحِمار، فكان ذلك الماءُ العذبُ الصافي يذهب باطلاً. ثم انفتحَ لي فيه بابٌ من الإصلاح، فعمِدتُ إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حُفرةً، وصَهرَجتُها وملّستها، حتى صارت كأنها صخرةٌ منقورة، وصوّبت إليها المسيل. فنحنُ الآن إذا اغتسَلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء. ولولا التعبُّد لكان جلدُ المتغوِّط أحقَّ بالنَّتْن من جلد الجُنب، فمقادير طيبِ الجُلود واحدة، والماءُ على حاله. والحِمار أيضاً لا تقزّز له من ماء الجنابة، وليسَ علينا حرجٌ في سَقيه منه. وما علمنا أنّ كتاباً حرّمه ولا سُنّة نَهَت عنه. فربِحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال.

قال القوم: هذا بتوفيق الله ومَنّه.

(١) المسجديون: جماعة من الناس اتخذت من المسجد منتدى لها، وكانت هذه الجماعة خليطاً من الناس، منها الشعراء ومنها الرواة، وكان أفرادها لا يتقيدون بعلم مما كان يزخر به مسجد البصرة، وإنما يصيبون من كل علم بطرف، ثم يجلس بعضهم إلى بعض، يتحدثون شتى الأحاديث، ويتجاذبون أطراف الرأي في مختلف الوسائل.

Scanned by CamScanner

فأقبل عليهم شيخٌ فقال:

هل شَعَرتم بموتِ مريمَ الصَّنَّاع؟ فإنَّها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح.

قالوا: فحدِّثنا عنها. قال: نوادرُها كثيرة وحديثُها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال:

زوَّجتْ ابنَتها، وهي بنتُ اثنتَي عشرة سنة، فحلَّتها الذهبَ والفضةَ وكسَتها المرويَّ والوَشْي والقزَّ والخزَّ وعلّقت المعصفر، ودقَّت الطيب، وعظَّمتْ أمرها في عين الختن، ورفعَت من قَدْرها عند الأحماء. فقال لها زوجُها أنَّى لكِ هذا يا مريم؟ قالت: هو من عندِ الله. قال: دَعي الجُملة وهاتي التفسير، والله ما كنتِ ذا مال قديماً ولا ورِثْتِه حديثاً، وما أنتِ بخائنةٍ في نفسك ولا مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعتِ على كنز. وكيف دار الأمر، فقد أسقطتِ عني مؤنة وكفيتِني هذه النائبة. قالت: اعلمْ أني منذُ يوم ولدتُها إلى أنْ زوّجتُها كنتُ أرفع من دقيق كل عَجنة حَفْنَة، وكنّا ـ كما قد علمتَ ـ نخبِزُ في كلّ يوم مرّة، فإذا اجتمع من ذلك مكّوكٌ[1] بعتُه. قال زوجُها: ثبّتَ اللّهُ رأيَك وأرشدك، ولقد أسعد اللّهُ من كنتِ له سَكَناً، وبارك لمن جُعِلت له إلْفاً. ولهذا وشِبهه قال رسول الله ـ ﷺ ـ: من الذَوْد إلى الذوْدِ إبل[2]. وإني لأرجو أن يخرُج ولدكِ على عِرقك الصالح، وعلى مذهبِك المحمود. وما فَرَحي بهذا منكِ بأشدَّ من فَرَحي بما يثبّت اللّهُ بكِ في عَقِبي من هذه الطريقة المرْضيَّة.

فنهضَ القومُ بأجمعِهم إلى جنازتها، وصلّوا عليها. ثم انكفأوا إلى زوجها فعزَّوه على مصيبته. وشاركوه في حزنه.

ثم اندفَع شيخٌ منهم فقال:

يا قومُ لا تحقِروا صِغار الأمور، فإنَّ أوّل كل كبير صغير، ومتى شاء اللّهُ أن يعظِّم صغيراً عظّمه وأن يكثّر قليلاً كثّره. وهل بيوت الأموال إلا درهَم إلى درهَم؟ وهل الدرهم إلّا قيراط إلى جنب قيراط؟ أو ليس كذلك رملُ عالج وماءُ البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلا بدرهم من هٰهنا ودرهم من هٰهنا. قد رأيتُ صاحبَ سَفَط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب. ولربّما رأيتهُ يبيعُ الفُلفل

(١) مكوك: نوع من المكاييل يسع صاعاً ونصف صاع.

Scanned by CamScanner

بقيراط والحِمَّص بقيراط، فأعلمُ أنه لم يربَحْ في ذلك الفلفل إلّا الحبّة والحبّتين من خَشَب الفلفل، فلم يزل يجمعُ من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائةَ جريب[١].

ثم قال: اشتكيتُ أياماً صدري، من سُعال كان أصابني. فأمرني قومٌ بالفانيذ[٢] السكري، وأشارَ عليّ آخرون بالحريرة تتّخذ من النشاستج[٣] والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك. فاستثقلتُ المؤنةَ وكرهتُ الكُلْفة ورجوتُ العافية. فبينا أنا أدافع الأيام، إذ قال لي بعضُ الموفقين: عليكَ بماء النُّخالة، فاحْسُهُ حارًّا. فحسَوْتُ، فإذا هو طيّب جدًّا، وإذا هُوَ يعصِم. فما جعتُ ولا اشتهيتُ الغَدَاء في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغتُ من غَدائي وغسل يدي، حتى قاربت العصر. فلما قَرُبَ وقتُ غدائي من وقتِ عَشائي، طويتُ العَشاء وعرفتُ قصدي.

فقلتُ للعَجوز: لمَ لا تطبخين لِعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإنّ ماءها جِلاءٌ للصدر وقوتها غِذاء وعِصمة، ثم تجففين بعدُ النخالة، فتعود كما كانت، فتبيعينَه إذا اجتمع بمثل الثمن الأول. ونكون قد ربِحنا فضلَ ما بين الحالين. قالت: أرجُو أن يكونَ الله قد جمعَ لك بهذا السُّعال مصالحَ كثيرة، لما فتح الله بهذه النخالة التي فيها صلاحُ بَدَنِك وصلاحُ معاشك.

وما أشكّ أنّ تلك المشورَة كانت من التوفيق.

قال القوم: صدقتَ. مثلُ هذا لا يُكتَسبُ بالرأي، ولا يكون إلا سماويًّا.

ثم أقبل عليهم شيخٌ آخر فقال:

كنا نلقى من الحُرَّاق[٤] والقدّاحة جَهداً؛ لأنّ الحجارة كانت ـ إذا انكسرَت حروفُها واستدارت ـ كلَّتْ ولم تقدح قَدْحَ خير، وأَصْلَدَتْ فلم تُورِ[٥]. وربما أعْجَلنا المطر والوَكف[٦]. وقد كان الحجرُ أيضاً يأخذُ من حروف القدّاحة حتّى

(١) جريب: الجريب قدر معلوم من الأرض يساوي عشرة قُفزان، والقفيز من الأرض مقدار ١٤٤ ذراعاً.
(٢) الفانيذ: نوع خاص من السكر الأبيض، أو هو قصب السكر.
(٣) النشاستج: النشا وهو يستخرج من الحنطة إذا نقعت حتى تلين، وصفيت في مناخل وجففت.
(٤) الحُرَّاق: الشيء تقع فيه النار عند القدح.
(٥) لم تور: من الوري، وريث النار: اتقدت.
(٦) الوكف: وكف البيت: قطر سقفه، وسحاب وكوف: يقطر سيله قليلاً قليلاً، الوكف: المطر

Scanned by CamScanner

... عنوانا.

الفن القصصي

- أنواع القصة.
- وفرة الفن القصصي وقلة العناية به.
- تعريف الأدب الشعبي.
- تعريف السيرة الشعبية.
- سيرة عنترة.

٢) ظل الشعر العربي محافظًا على تقاليده في البنية والأسلوب عصورًا طويلة، ولم يتقبل العرب التغيير فيه كثيرًا، أما القصة فجاءت مترجمة من غير العرب لذلك جاءت معنونة وهم حاكوها.

القصة :

١ لفظٌ جامعٌ تنضوي تحته أجناسٌ لا يحصيها عدٌّ (ابتداءً بالأسطورة وانتهاء بالرواية والقصة الومضة).

٢ وهي موغلة في القدم ومعبرة عن حياة الشعوب والجماعات البشرية المختلفة في تباين رؤاها واختلاف طرائق التعبير عنها. والراجح أنها عريقة عراقة البشرية ذاتها، ولا يُتصوَّر شعبٌ بلا رصيد قصصي. وقد اتسمت بسمات وأشكال مختلفة عند المجموعات البشرية المتباينة.

موقف الباحثين المعاصرين

كان موضوع "القصة في النثر العربي" مثار خلافات حادة بين باحثين متباعدي المواقف:

- فمنهم من ينعتها بالتفاهة مثل محمود تيمور في كتابه "نشوء القصة وتطورها" وتوفيق الحكيم .
- ومنهم المعتدل الذي يرى أن العرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن ، وأُثِرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع.
- ومنهم المسرف على نفسه وعلى الحق والعلم الذي يمجّد الأدب العربي انطلاقا من الغلو العاطفي ؛ إذ يرى أنه لم يَسْبِق الأدب العربي أي أدب آخر في نوع الأقاصيص، مثل موسى سليمان في كتابه "الأدب القصصي عند العرب".

إن العرب لم يشذوا عن جميع الأمم فعرفوا من القصة ضروبًا مختلفة (كالخبر ، والمثل، والنادرة ، والحكاية، والمقامة)، ثم كان أخذُهم عن الأمم التي اتصلوا بها ، فحصل من هذا كله – بمرور الزمن– رصيدٌ ضخمٌ منه ما نقل عن العامة أو الخاصة، ومنه ما صنع على ألسنة الطير والبهائم، ومنه ما تخيل عن الشياطين والجن والمردة ، وله غايات مختلفة (كالمفاخرة ، والتاريخ ، والوعظ والتسلية ، والتعليم)، وموضوعاته مختلفة (كأيام العرب ووقائع الفتوحات ، وأساطير الجن ، وقصص العشاق ، وأحاديث السمر، وطرائف الحمقى والمغفلين..)

غايات القصص العربي

هذه القصص الوفيرة المتنوعة عند العرب القدامى لم يوازِها اهتمامُهم بها بحثا ونقدا ، وهذا راجع إلى جملة من الأسباب: لماذا تحاشى النقاد القدامى دراسة القصص؟

١/ إحجام كثيرٍ من أهل الأدب والنقاد القدامى عن القصة لشيوع حديث منسوب إلى رسول الله صلى

Scanned by CamScanner

موقف الباحثين المعاصرين من القصة

1. فئة احتقرت فنّ القصة، من هؤلاء: محمود تيمور وتوفيق الحكيم
2. فئة معتدلة
3. فئة تغالي من شأن فنّ القصة.. وترى أن العرب هم من اخترع القص.. ومن هؤلاء: موسى سليمان..

* لمَ لم يعرف العربُ (العَنْوَنة) في الشعر، بينما عرفوها في النثر أو القصص؟

١/ لأنّ العنوان في رأي (كوهين) مرتبطٌ بالنصّ النثري الأدبي والعلمي - قديمها وحديثها - فالنثر يتّسم بالانسجام والاتساق، في حين أنّ الشعر - بخاصة القديم منه - يمكن أن يستغني عن العنوان؛ لأنّه في الأغلب يفتقر إلى الفكرة العامة التي توحّد النصّ.. فقد يكون مطلع القصيدة عنوانًا..

٢/ ظلّ الشعرُ العربيُّ القديم محافظًا على تقاليده في البنية والأسلوب، عصورًا طويلة، ولم يتقبل العربُ التغيير فيه كثيرًا، أما القصة فجاءت مترجمة من غير العرب؛ لذا جاءت مُعَنْوَنَة وهم حاكوها..

لماذا لم يهتم العربُ القدماء بالفنّ القصصي

1. بسبب النظرة النفعية لفنّ القصة
2. وللتحرج لشيوع حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهى عن الانشغال بالقص
3. ولحبّ العرب للشعر، وانشغالهم به عن القصّ..
4. وتحاشي العرب للميراث النقدي اليوناني للقصة لما فيه من وثنية..

الله عليه وسلم :{إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا }أي لما هلكوا بترك لعمل أخلدوا إلى القصص.

٢/ لم يُفِد العرب من النقد اليوناني المتصل بالقص لأنهم عزفوا عما وجدوا لدى الإغريق من قصص ذات خلفية وثنية في الغالب ، فلم يأخذوا إجمالا سوى العلوم والفلسفة.

٣/ لم يحفل العرب بالقصة في مصنفاتهم لاستحواذ الشعر على مهجهم أكثر من سائر فنون القول .

٤/ جعل أسلافنا القصة مجرد أداة لغايات أخرى رأوها أنفس قيمة وأبعد نفعا منها: كالوعظ الديني(الفرج بعد الشدة والضيق للتنوخي) ومثل القاضي سليم بن عتر التجيبي ، والتعليم اللغوي كالمقامات.

تعريف الأدب الشعبي:

الأدب الشعبي هو الأدب الذي ينتجه الشعب، فيعبر عن وجدانه ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية (فلكلور). ينتجه الشعب: أي أنه مجهول الهوية يتداوله الناس، وكل يضيف عليه بحسب أفكاره ومعتقداته.

القصص الشعبي ينقسم إلى نوعين :قسم بطولي يتغنّى بالشجاعة (سيرة عنترة ، وقصة الملك سيف بن ذي يزن ، وسيرة بني هلال)، وقسم إخباري يدور حول الحب واللهو وعجائب الأسفار وغرائب الأخبار (حكايات ألف ليلة وليلة).

تعريف السيرة الشعبية

هي حكاية مترحلة من أقليم إلى أقليم وتحمل خصائص البيئات التي تمر فيها...

السيرة الشعبية : هي النصوص القصصية الطويلة التي تولَّدت في مجال المشافهة، ورواها رواةٌ منشدون في ساحة المدن العربية الكبرى وفي المجالس والأرياف ، قبل أن تخرجها المطابع الحديثة. وتعد السيرة الشعبية من الأدب الشعبي لكونها مجهولة المؤلف ، وخاضعة عند روايتها وتداولها المستمر عبر القرون للتجدد والإضافة، ويترتب على ذلك أن نسخ السيرة الشعبية الواحدة تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا أحيانا.

سيرة عنترة العبسي

موضوع سيرة عنترة:

هي سيرة طويلة نثرية وشعرية مادتها مكوَّنة من التاريخ والخيال ، وتدور حول البطولة والأخلاق العربية الرفيعة. وبطلها هو عنترة بن شداد.

Scanned by CamScanner

* في الكتب التاريخية اختلف المؤرخون في زواج عنترة بعبلة وكل منهم له حجته..

* لماذا تحرص السيرة الشعبية؟ ولماذا سعى رواة السيرة الشعبية إلى تزويج عنترة بعبلة؟

لأن إرادة الشعب متجهة إلى هذه [illegible] النتيجة، وهدف السير الشعبية إرضاء رغبات المجتمع

القسم الأول: سعي عنترة إلى التحرر والاقتران بحبيبته من خلال المشاركة في حرب داحس والغبراء.

القسم الثاني: نيل قصب السبق في ميدان الشعر، وتعليق معلقته على أستار الكعبة بعد مغامرات شديدة.

القسم الثالث: التجول خارج الجزيرة للغزو وقهر الجبابرة حتى حانت وفاته. تفوقه في حياته والخروج عن نظام المجتمع المحدود..

كيف تكونت؟ من الأدب العباسي..

بداية تأليف هذه السيرة ترجع إلى العصر الجاهلي. وقد تمثلت هذه البداية في مجموعة من الأخبار المروية. وتمثلت وظيفة اللغة في هذه المرحلة في تنظيم مجموعة من الأخبار حول شخصية بعينها تستهوي الشعب. لماذا أُلِّفت سيرة عنترة؟

ثم أخذت هذه الأخبار تتجمع وتتراكم في العصر الإسلامي. حتى تكونت قصص قصيرة متكاملة. وهنا تدخل اللغة في دور التشكيل الذي يستعان فيه بطبيعة الحال بالروايات والأخبار المتفرقة.

وعندما وصلت هذه القصص والأخبار إلى العصر الإسلامي، كان لا بد أن توجه توجيها آخر يتفق مع طموح العصر الجديد وقيمه. فاكتسبت شخصية البطل في هذه المرحلة صفة الشمولية بدلا من الخصوصية، كما أن طموحاته تتعدى المصلحة الشخصية إلى المصلحة الجمعية. وهذا يعني أن يتحرر البطل القديم من قيود زمانه ومكانه التاريخيين ليعيش في زمن أكبر ومكان أرحب، ولهذا فقد جعلت السيرة البطل يتحرك خارج الجزيرة العربية حتى وصل ببطولاته إلى أسبانيا، كما جعلته مناضلا على مستويين: مستوى اجتماعي وهو نشر النظام والعدل، ومستوى سياسي وهو القضاء على القوى التي يمكن أن تقف مناوئة في سبيل نشر الدعوة المحمدية.

وقد شكل الراوي الشعبي الأجواء الملحمية من أخبار الجاهلية وأيامها، ومن الحكايات الشعبية المتخيلة المليئة بالعجائبي والغرائبي. وهذه القصص المكتظة بالبطولة تلبي حاجة المستمعين الذين كانوا مسحوقين بالاستبداد وحالمين بالبطل المنقذ. مدونها (بعد أن دونها توقفت عن النمو)..

وقد دونها الشيخ يوسف المصري وبوبها على النحو المعروف إلى اليوم، ونسبها إلى الأصمعي.

وهناك ثلاث روايات للسيرة: الرواية الحجازية، والرواية الشامية، والرواية العراقية. والحجازية أطولها، وهي الأصل.

قيمتها التاريخية والفنية:

١/ القيمة التاريخية: هي صورة من صور البيئة الجاهلية والنفس العربية (البيئة الطبيعية – البيئة الاجتماعية).

٢/ قيمتها الفنية: (المكونات الفنية) (البناء الفني)

١) الوحدة: شخصية عنترة هي المركز الذي تنشد إليه الأحداث وتعطي للسيرة وحدة وتماسكا. وهي تستعين في خلق المتعة بالمفاجآت والمغاليات، وتضخيم الأشياء وتجسيم الطفيف من الأفعال،

Scanned by CamScanner

خصائص الحكاية الشعبية

١) ليس لها مؤلف

٢) أنها تتضخم وتنمو بفعل الرواية الشفهية

٣) أنها مترحلة، تحمل خصائص البيئات التي ترحل إليها

أنواع القصص الشعبي

أ) قسمٌ بطوليّ

ب) قسمٌ إخباريّ

أهداف تأليف السيرة الشعبية

كان لها سببٌ أساس، هو: تلبية حاجة المستمعين الذين كانوا مسحوقين بالاستبداد، والحالمين ببطلٍ منقذ ..

البطل (عنترة) في السيرة الشعبية هو مناضلٌ على مستويين

١- مستوى اجتماعي .. لنشر العدل والنظام ..

٢- مستوى سياسي: للقضاء على القوى التي يمكن أن تقف مناوئةً في سبيل نشر الدعوة المحمدية ..

Scanned by CamScanner

القادح في الأحداث

بأسلوب ساذج لا يخلو من عذوبة.

- يقوم المحور الرئيس للأحداث على (التضاد) بين الخير والشر، فكان البطل ومساعدوه في مواجهة مستمرة لمكائد الخصوم ، وتميز البطل بكل الخصال المتصلة بالبطولة من شهامة وكرم وشجاعة وقوة جسدية . اما مساعده الرئيس فيتسم بالدهاء والحيلة والاعمال الماكرة. شيبوب
- ظهر عنترة بمظهرين : هو رجل البطولة ، ورجل الغرام. وبطولة عنترة خاضعة لحبه ، وموجهة إليه ، وصادرة عنه في قسم كبير منها.
- ظهرت عبلة مستبدة تحب إذلال الرجل الذي عشقها وتأمره أن يقبل قدميها ، وهي السبب في تشرد حبيبها.
- شيبوب هو صديق عنترة الذي يكون في كل شدة عينا ترى وأذنا تسمع، وحكمة تنطق.
- تتعدد الشخصيات تعددا يتجاوز قدرة الذاكرة على الإحاطة بها . فبالإضافة إلى الشخصيات الأساسية المساعدة للبطل أو المعرقلة لمطامحه ، ثمة عدد كبير من الشخصيات التي تظهر في وحدة حكائية جزئية ثم تختفي.
- أسلوبها: نثر يتخلله شعر ، ويعتمد على السجع ، وقد تخالطه عبارات مبتذلة. لكونها شعبية

قيمتها الأدبية تشبيهها بإلياذة اليونان :

- ذهب بعض المستشرقين إلى أن سيرة عنترة إلياذة العرب. وهي تلتقي مع الملحمة في بعض الصفات وتفترق في غيرها.
- أوجه التشابه :موضوع السيرة موضوع ملحمي لأنه سرد أخبار بطولية ووصف مواقع حربية . وهي حافلة بالخوارق ، وبالنزعات الإنسانية. والبطولة والحروب تنشأ بسبب امرأة (هيلانة في الإلياذة وعبلة في السيرة).
- أوجه الاختلاف : مكتوبة بالنثر ، وتفتقر إلى المتانة والترابط الموجود في الملاحم.

سيرة عنترة

Scanned by CamScanner

fofoyoyo

عنترة بن شداد

٢

تأليف

حسين جوهر   محمد أحمد برانق

أمين أحمد العطار

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

Scanned by CamScanner

fofoyoyo

١

سمع عمارة ورأى فى مجلس زهير ما لعنترة من مهابة ومكانة سامية فأيقن أن عبلة خرجت من يده ، ولهذا رجع إلى بيته ، حزيناً قلقاً ، وبعد تفكير عميق في أمره أصر على أن يرى عبلة رأي العين ، فإن أعجبه حسنها استعان بالربيع أخيه على زواجه منها ، ولو كان السبيل إلى ذلك قتل عنترة ، وإن لم ترق فى عينيه انصرف عنها ، وخلى سبيلها تتزوج ممن تشاء ، ولكن كيف يحتال لرؤيتها ؟

لقد تنكر في زي عبد من عبيد العرب وكمن فى جانب الطريق الذى تمر منه عبلة إلى المياه غادية رائحة ، هي وأترابها ، بحيث يراهن ولا يرينه ، وخرجت عبلة إلى الغدير فى صحبة من لداتها فألفاها هيفاء فاتنة الجمال ، ساحرة الخطا عذبة الحديث ، فالتهب فؤاده بحبها ، ورجع مشرد الذهن إلى داره ، لا يكاد يعرف موضعاً لقدمه ، وهناك قص على أخيه قصته ، وشكا بثه وحزنه ، فقال الربيع :

لقد نصحت إليك أن تترك أمر هذه الفتاة ، فإن تعلقك بها يجر عليك متاعب كثيرة ، فلم تستجب لنصحى ، وقد لمست بيدك ما يعترضك

اللغة سهلة

fofoyoyo

من أهوال وخطورة ، والرأي عندي أن تتحدث إلى أبيها مرة أخرى ، فإن أجابك إلى ما تطلب كان هو الوسيلة إلى تحقيق رغبتك ، وإن اختار عنترة من دونك فلا سبيل لك إلا أن تدبر حيلةً تغتال بها عنترة على غير علم من أحد ، وبذلك تأمن شر العداء لبني قراد ، وهم على ما تعلم من القوة والبأس الشديد .

فاطمأن عمارة إلى قول أخيه ، وظن أن أمر الفتاة أصبح في يده ، ونسي أن المرء يفكر والقدر يدبر ، وقام إلى مخدعه وكأنه قد أيقن ببلوغ المراد .

• • •

وفي الصباح لبس عمارة أفخر ما عنده من الثياب ، وجلس في دار ضيافته ، ودعا إليه مالكاً وابنه عمراً ، فلما حضرا وجلسا قال مالك :

إلى خير دعوتك أيها الأمير ؟ فقال :

دعوتك لأتبين رأيك في زواج ابنتك ، بعد أن أعلن شداد أخوك أبوته لعنترة ، ولطخ أنساب الأماجد من العرب بهذا العمل الفاضح ، فربما سايرت أخاك في عمله ، وشاركته في جريمته ، فنقضت يدك مني ، ونقضت الميثاق الذي بينك وبيني ، واخترت عنترة لابنتك من دوني ، فقال عمرو أخو عبلة :

كيف نجني على أنفسنا بأيدينا ، ونختار عنترة من دونك ؟ ! ذلك ما لا يكون . وقال مالك أبوها :

تمهل يا ولدي ولا تعجل ، ودعني أفضي إليكم بما في نفسي ، فقال عمارة :

وذلك ما دعوتكم إليه ، فقال مالك :

لقد تعلمون أن عنترة أبغض الناس إليّ ، ولما حلت ضائقة القتال بنا ، وأسرتْ عبلة ونساؤنا ، ولم نجد من يدافع عنا ويسترد نساءنا إلا عنترة الذي كان قد اعتزل القتال نزولاً على رأينا – ذهبنا إليه مستنصرين فأبى إلا أن نرد عليه حريته المسلوبة ، وعلى الرغم منا أعلن شداد حريته وبنوته ، ووعدته إن خلص ابنتي فهي له ، كما تعلمون كيف نصرنا وردّ الأعداء عنا وأرجع أسرانا ، وتعلمون ما له من المنزلة الرفيعة عند زهير وابنه مالك ، من أجل مواهبه وسيفه ، ومروءته وفضله ، وذلك جميعه جعل المسألة شائكة معقدة لا يحلها إلا تدبير حازم محكم ، أحقق به رغبتك ، دون أن أظهر بين العرب بمظهر الغدر وعدم الوفاء ، فقال عمارة :

أظنك تخشى زهيراً وجنوده ؟ فقال مالك :

وأخشى أن يقال : إني تمردت عليه وخرجت من طاعته ، فقال عمارة :

تلك ابنتك ، والأمر فيها لك وحدك . فقال مالك :

ولكنها دخلت فى تقدير البارزين من القوم ، وجعلت مكافأة ملكية لمن حفظ كيان الدولة ، وانتقلت الولاية عليها من الفرد إلى الجماعة ومن الأب إلى الملك ، فقال عمارة :

وماذا عليك لو طلبتها منك فى مجلس زهير وقومه من دار ضيافته ؟ فقال :

لك ما تشاء ، والأمر حينئذ للمجلس .

• • •

وفى الغد جلس الملك فى دار ضيافته حسب عادته ، يحف به سادات قومه ، ومن بينهم عنترة الذى حظى بالجلوس على يمين الملك بين أبنائه ، يمتع المجلس بعذب حديثه ونادر طرفه ، ومعهم عمارة الوهاب الذى حضر لتنفيذ ما بيّت عزمه عليه ، من طلب عبلة فى مجلس زهير .

وفى هدأة المجلس وسكونه التفت عمارة إلى مالك وسأله : ألست فى العرب سيداً كريماً ؟ فقال : بلى ! سيد كريم وابن سيد كريم ، فقال : ألم تكن قد وعدتنى أن تزوجنى ابنتك عبلة ؟ فقال :

بلى ! فقال عمارة :

ولكنك تتثاقل فى الوفاء بما وعدت ؛ فقال :

لأنى حائر فى أمرى ، فقد وعدت عنترة ابن أخى أن أزوجه منها كما وعدتك ، فقال :

ولكنك وعدتنى طوع اختيارك ، ووعدت عنترة برغم أنفك ، فقال مالك :

لم يرغمنى على وعد عنترة خوفى منه ، أو دفع بلاء عنى ، ولكنى اشتريت بوعده حماية القوم وحماية الملك ، وإرجاع الأسرى من فتيات ونساء ، ولم يكن لى من النفع والغناء فى ذلك ، أكثر مما لك ولغيرنا ، ولولاه لكنت أنا وأمثالك ونساؤنا ونساؤك أذلة فى يد الأعداء .

ثم ساد المجلس سكون طويل عميق ، فلا تكاد تسمع نفساً يتردد ، أو همساً يتصاعد ، وجميعهم بين محب لعنترة ، ومبغض إياه ، ذلك ينتظر إنصافه والحكم له ، وهذا يرتقب النكاية به والحكم عليه ، وبعد فترة طويلة من هذا السكون العميق قال عنترة :

إن من العجب العجاب أن يلغى رجل عقله ، ويلبى داعى أثرته ، فيطلب ما ليس له ، إن عبلة لمن خلصها وفك رقبتها ، وألقى بنفسه فى التهلكة فأنقذ أهلها وقومها ، وليست تراثاً يملكه الوارث لزاماً ، وهو فى عقر داره نائم ، وضاجع وادع .

وكان أخوها عمرو لا تزال تأخذه خشية العار فابتدر عنترة وقال :

لو سيق لى ملك كسرى ما رضيت بزواج عنترة من أختى ، ولن أستطيع صبراً على عار نجره إلينا بأيدينا ، فقال الربيع :

ومن أرغمك على زواج أختك من هذا أو ذاك ؟ وقال شاس :

إنها أخته يختار لها من يشاء ، وقال أحد الجالسين ممن يبغض عنترة :
وإنه إن تنازل عن حقه في ولايته على أخته ، فقد أضاع حقه وكرامته ؛
وقال آخر :

ولا يستوى سيد ومسود ، ولا الأحرار والعبيد ، فقال عنترة :

ولا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، فإذا رأى الملك عدلاً ونصفة ، فليدع عمارة هذا التكبر الكاذب ليبارزني ، وعبلة حينئذ لمن غلب ، فإن أبى القوم بعد هذا إلا عناداً وإنكاراً لفضلى وجحوداً رحلت عنهم إلى حيث أتعبهم بنهب الأموال وسلب الأنفس ، ولن أترك لى عدواً يبرد جسمه نسيم الحياة .

اقتباس إسلامي

وطبيعي أن يكون شداد أول من يتأثر ، فالتفت إلى أخيه مالك قائلاً :

إن عنترة منك بمنزلة ابنك ، لأنه ابن أخيك وشقيقك ، وإن حسدك إياه وحنقك عليه نشوز عن الفطرة وتمرد على الطبيعة ، وستضطرنا إلى أن نقابل هذا النشوز الآثم بنشوز غير آثم ، لأنه غضبة منا للحق ، فإن رجع إليك غائب رشدك وزوجت ابنى من ابنتك رعيت حق الأخوة ، وأديت واجبها ، وإلا فقد زعزعت الأساس ، وعرضت نفسك لكل ضر وبأس ، فسأكون أنا وابنى يداً واحدة ، فراجع رأيك وعسى أن تعود إلى

صوابك ، وقال زخمة الجواد :

يا مالك ! لا تكن معول هدم لأسرتنا ، وإنك لن تجد شجاعاً مثل عنترة ، فلا عذر لك إن أعرضت عن ابن أخيك وابنك ، ورأى زهير فى وجه أبنه مالك رغبة فى الكلام فقال له :

وما رأيك يا مالك فيما سمعت ورأيت ؟ فقال :

الظلم والغدر باديان فى موقف مالك أبى عبلة من ابن أخيه عنترة ، فقد ارتمى على أقدامه وأوثق فى عهوده ، وقت أن كانت بنته فى يد أعدائه ، فلما حرر ابنته وبنى قراد من الأمر جحد نعمته ونقض عهده على نحو ما نرى ونسمع ، وتلك حال لا ينبغى السكوت عليها ، وأرى أن تكون عبلة لعنترة على الرغم من أعدائه وحاسديه ، فقال أحد المعجبين بعنترة :

لافض فوك يا مالك ، ولا زلت بين أيدينا نوراً يهدينا إلى سواء السبيل.
وقال آخر :

والشيء من معدنه لا يستغرب ، فقد عهدنا فى بيته النصح والوفاء العظيم ، وقال آخر :

والأمر بعد هذا واضح ، وليس له إلا ما رآه مالك ؛ والتفت آخر إلى أبى عبلة قائلاً :

الظلم ظلمات فى حياة الناس ، وكما كنت صغيراً فى رجالك

هناك وعي بقواعد المقامة الفنية في مقابل تغييب النقد والنقاد تجاهها..

واضعها : بديع الزمان الهمذاني

فن المقامة :

ما معنى المقامة ؟

المقامة في اللغة موضع المقام استُعملت في المجلس ، ثم في الجماعة الجالسين ، ثم سميت الأحدوثة من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة لسماعها ، والمقامة في الجاهلية مجتمع القبيلة ، وفي العهد الأموي أحاديث زهدية تروى في مجالس الخلفاء، ثم صار معنى المقامة **قصة تدور حوادثها في مجلس واحد حول الكدية والاستجداء بلغة مختارة مسجوعة.**

سبب نشأة المقامات

المقامة ثمرة تيارين في الأدب العربي :

أ/ تيار أدب الحرمان والتسول : فلشيوع الحرمان في القرن الرابع ، ولأن الكثرة كانت تعيش عيشة فقر وبؤس وإملاق تحت ظل المحن والخطوب ،وبين براثن الجوع والمرض الموت ، أثَّر هذا في الأدب فظهرت الكدية . وأصحاب الكدية قوم يتجولون في البلاد المختلفة والأمصار المتباعدة يتكسبون بالأدب تارة ، ويحتالون تارة أخرى على الناس بحيل ملفقة وأكاذيب مخترعة، وقد أطلقوا على أنفسهم بني ساسان أو الساسانيين مبدؤهم "الغاية تبرر الوسيلة".

ب/ تيار أدب الصنعة: بلغت الصنعة في الأدب أوجها في هذا العصر ، وصار التزويق غاية ، وأصبحت الكتابة تطريزًا موسيقيًّا وتصويريا ، ونزع الأدب إلى الأسجاع والاستعارات وشتى ضروب البديع لإغراق المعاني الضئيلة أو للإبانة عن ألوان المعارف.

واضعها:

تحققت على يد بديع الزمان الهمذاني وقد اخترعها اختراعًا فلم يكن متأثرًا بأحد من الكتاب الذين سبقوه أو جايلوه وإنما تأثر بواقع الحياة عامة.

هدفها (الغاية من وضعها):

١/ تعليمي :

وجدت بدايةً لهدف تعليمي ، ليسهِّل الهمذاني على طلابه بنيسابور دروس اللغة والبيان ويدربهم على الأسلوب الجميل في الكتابة ، فكان الأسلوب أسلوب العلم في إطار القصة وجو الفكاهة. ثم تجاوز

Scanned by CamScanner

المؤلف حدود التعليم وامتد نظره إلى الناس فراح يعالج هذا الفن معالجة الأديب. واتخذ من الأسلوب القصصي إطار لمقاماته.

يقول د. الصادق قسومة في كتابه "الأقصوصة": العرب القدامى جعلوا القصة مجرد أداة لغايات أخرى رأوها أنفس قيمة وأبعد نفعًا منها: الوعظ الديني أسوة بما جاء في القرآن الكريم، أو التعليم اللغوي كالمقامات والرسائل(رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد) .

٢/تقديم معرفة موسوعية :

فهي لا تنطوي فقط على فنون البيان ، وإنما تضم **قاموسا لغويا** لما فيها من ألفاظ غريبة ، وتعبيرات قديمة ، وألغاز نحوية ، وأمثال وحكم. كما أنها تضم **معرفة تاريخية** تتصل بأيام العرب وعاداتهم وأحوالهم وكثيرا ما ترد إشارات وتلميحات في سياق الأحاديث. وهي قاموس أدبي لازدحامه بالأسماء والأبيات ، وفيها **موازنة** بين الشعراء كالمقارنة بين الأخطل وجرير والفرزدق في مقامات الهمذاني ، وعرض لقضية الصراع بين القديم والحديث وإطلاق أحكاما جازمة موجزة ، **ونقد** بعض الأبيات.

رأي حنّا الفاخوري:

يُصدر حنا الفاخوري أحكاما فيها شيء من الجور على المقامات حين يقلل من انتسابها لجنس القص لأن القصص فيها مجرد إطار يُستعان به ، وليس في المقامة حادثة ، والسرد في المقامة جزئي ولا يؤثر في تطوير الأحداث ، وهي مركبٌ من المعلومات تمّا والتشويق في المقامة شبه مفقود لافتقارها إلى الوحدة الفنية ، ولانصرافها إلى التعليم الذي قد يطيل الكلام مخالفًا لمبدأ القصص ، والمقدمة البنائية مفقودة في المقامة ، وليس هنالك إلا مقدمة تقليدية، والعقدة متقلصة في المقامات ، ولذا كان نجاح حيلة أو خروج من مأزق أو اكتشاف البطل وما إلى ذلك لا يخلو من طرافة أو فكاهة . لأنه أسقط المعايير الوافدة للقصة، وهي معايير حديثة على فن المقامة القديم، الذي له معاييره الخاصة، وهذا إسقاط فيه جور على المقامة!..

الرد عليه :

المقامة جنس قصصي له طبيعته الخاصة وقوانينه المتفردة نشأ استجابة لظروف عصره ، ولا يجوز نفي القصصية عنه وتحقيره لأنه لا يطاوع مقومات القصة القصيرة التي هي وليدة هذا العصر.

خصائص فن المقامة :

هي حكاية وجيزة مبنية على الكدية (الاستعطاء) والاحتيال للتعيُّش، ولها خصائص هي:

١/ راوي ينقلها عن مجلس تحدث فيه. ولكل مجموعة من المقامات راوية واحد. وتستفتح المقامة به (حدثنا عيسى بن هشام قال) في المقامة الهمذانية ، وأمّا مقامات الحريري فراويتها الحارث بن همام، ولكن الحريري لا يقتصر على قوله (حدثنا) بل يميل إلى التغيير في بدء كل مقامة فينتقل بين (حدث) و(روى) و(أخبر) و(قال).

٢/ تدور حوادثها في مجلس واحد فتتسم **بوحدة مكان ضيقة.**

Scanned by CamScanner

قيمة سيرة عنترة الشعبية

قيمة تاريخية

لكونها تعطي صورة من صور البيئة الجاهلية والنفس العربية .. أي تصوّر البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية

قيمة فنية

الوحدة

أي أنّ شخصيّة عنترة هي المركز الذي تُشدّ إليه الأحداث

التضاد

وذلك بين الخير والشر، فالبطل عنترة المتّصف بكلّ خصال الرجولة من شجاعة وحزم وشهامة يقابل بها قوى الشر

الشخصيات

تعدُّد الشخصيات تعدّدًا يتجاوز قدرة الذاكرة على الإحاطة بها.. فبالإضافة إلى الشخصيّات المساعدة للبطل هناك عددٌ كبير من الشخصيات التي تظهر في وحدة حكائية جزئية ثم تختفي

الأسلوب

أسلوب السيرة :

ب) نثر يتخلّله شعر

ب) يعتمد على السجع

ج) قد تخالطه عبارات مبتذلة؛ لكونها سيرة شعبية

قيمة أدبية

إذ جعلها بعض المستشرقين مقابلة لإلياذة اليونان، وشبّهوها بها، وقالوا: إنّها إلياذة العرب

Scanned by CamScanner

٣/ **المكدي (البطل الشحاذ)** تدور حوله الحكاية ، وتنتهي بانتصاره في كل مرة. ولكل مجموع من المقامات مكدٍ واحد . وهو شخص خيالي ، أبرز ميزاته أنه واسع الحيلة ذرب اللسان، ذو مقدرة في العلم والدين والأدب ، وهو شاعر وخطيب ، يتظاهر بالتقوى ويضمر المجون ، ويتظاهر بالجد ويضمر الهزل ، وهو يبدو غالبا في ثوب التاعس البائس إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة، حاد الذهن ، قوي الملاحظة في حل الألغاز وكشف الشبهات ، مرح طروب في اجتياز العقبات ، وهو صورة للمؤلف نفسه. وتنعقد المقامة دائما بأن يجتمع الراوية بالمكدي في مجلس واحد ويكون المكدي

متنكرًا ، يلبس لكل حالٍ لبوسًا ، فأبو الفتح الإسكندري يضحي مجاهدًا يحث الناس على الروم في المقامة القزوينية، وفي المقامة القردية يبدو قرّادًا مضحكًا هازلا، وهكذا. ولذلك قلما يفطن الراوية لوجوده، وتنحل عقدة المقامة بأن ينكشف أمرُ المكدي للراوية على الأقل أو يكشف المكدي أمره للراوية (وأحيانًا للحاضرين) في الأغلب ، ولا يكشف المكدي أمره إلا بعد أن يكون قد نال من أهل المجلس مالا أو ثيابًا.

وأبو الفتح الإسكندري هو بطل مقامات الهمذاني ، وأبو زيد السروجي هو بطل مقامات الحريري.

٤/ **ملحة (نكتة أو عقدة)** وهي الفكرة التي تحاك حولها المقامة ، وقد تكون هذه الملحة فكرة طريفة أو جريئة ،أو بعيدة عن الأخلاق الحميدة.

٥/ **كل مقامة تمثل وحدة قصصية قائمة بنفسها** ، وليس ثمة صلة بين مقامة وأخرى ، إلا أن المؤلف واحد ، والراوية واحد ، والمكدي واحد.

٦/ **التأنق في الأسلوب والإغراق في الصناعة اللفظية والمعنوية**(خصوصا عند الحريري). فهناك إغراق في البديع من جناس وطباق ، وإغراق في المقابلة والموازنة وفي سائر أوجه البلاغة ، كالخطبة التي تقرأ طردًا وعكسًا ، والخطبة المهملة (التي لا تنقط). وأسلوب المقامة أسلوب عالي في الكتابة وهو للخاصة .

٧/ **موضوعات المقامات التي تدور حول الكدية مختلفة** منها أدبي ومنها فكاهي ومنها حماسي ومنها مجوني ، وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند بديع الزمان . أما الحريري فالتزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص، وقد تكون المقامة طويلة أو قصيرة.

٨/ **عنونة المقامة:** لكل مقامة اسم ، واسمها يأُخذ عادة من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو: المقامة الدمشقية ، والتبريزية ، والبغدادية ، والبلخية. أو من الموضوع الذي تنطوي عليه المقامة نحو : المقامة الشعرية ، والإبليسية ، والدينارية.

٩/ **إيراد الشعر:** المقامة قصة نثرية ، يتخللها شعر قليل أو كثير من نظم صاحبها على لسان **المكدي أيضًا . وقد يكون إيراد الشعر لإظهار المقدرة في النظم .**

Scanned by CamScanner

أهم كتاب المقامات:

بديع الزمان الهمذاني ، وأبو القاسم الحريري ، والسرقسطي.

أ/ بديع الزمان الهمذاني : (٣٥٨- ٣٩٨)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ،وكان معلمه اللغوي أحمد بن فارس المشهور، واتصل بالصاحب بن عباد ولزم دار كتبه وتدرب على أسلوبه في السجع والتنميق ، واتصل بعلماء الإسماعيلية بجرجان . وشبت معركة شديدة بينه وبين أبي بكر الخوارزمي شيخ الكتاب فكانت له الغلبة وطار بذلك صيته. أمل أكثر مقاماته في نيسابور ،وطاف ببلاد عديدة متكسبًا ، وتوفي وهو لم يبلغ الأربعين من العمر.

صفاته:

كان رجل طمع وأثرَة يتوسل بجميع الوسائل لبلوغ أهدافه ، وله قلبه شرس وكبد غليظة ، لهذا كان شديد الحسد ، شديد الاستعلاء ، حديد اللسان سليطه ، يكشف العورات ويشن الغارات، له مقدرة على السخرية والتهكم يفخر بها، ويتطاول إذا غضب بكل ما في نفسه من لؤم وعنفوان وبذاءة. وقد أسعفته طبيعته في تجسيد مثالب الآخرين والسخرية منهم في المقامات. وهو ينافس مجايليه وكان يحاول أن يحط من شأن الجاحظ ، وأن ينصب نفسه جاحظ زمانه.

عدد المقامات:

ادَّعى أنه كتب أربعمائة مقامة في إحدى رسائله ، والحقيقة أنه لم يكتب سوى اثنتين وخمسين مقامة.

أسلوبها وقيمتها الفنية :

أسلوبها نثري منمق ، يعتمد على السجع والغريب من الألفاظ ، وعبارات موجزة وسريعة، ومقطعة تقطيعًا موسيقيًا ، فيها ضروب من التشبيهات والاستعارات والكنايات والجناسات وما إلى ذلك، والكلام فيها يعدل فيه عن مذهب التصريح إلى مذهب المداورة . ويلتزم البديع وهو عنده خفيف رشيق . قريب إلى الطبع ، بعيد عن التكلف ، وفواصله شديدة الحيوية ، تتوالى في سرعة وانطلاق. ومن التنميق تضمين الكلام ألوانٍ من الأمثال والآيات القرآنية والأبيات الشعرية.

صورة المجتمع في مقامات الهمذاني :

مقامات الهمذاني تشي بحقائق شتى في شأن الحالة الاجتماعية لذلك العهد، فتطالعنا الطبقيَّة الاجتماعيةً: **طبقة بورجوازية** حشدت المال وامتصت أكباد الناس وعاشت في رخاء وبذخ ، ونشهد **طبقة عامة الناس** التي تعيش في فقر مدقع ، وذل موجع وتنهشها المجاعات نهشًا فامتلأت شكوى وحقدًا وزال من نفسها الشرف وكثر فيها التكدِّي وشاعت اللصوصية.

ولم يفت البديع تصوير **مظاهر اللهو** فهناك مجالس والشراب ، والمتنزهات التي يغمرها الجمال ، وهنالك مجالس الغناء تضج بالألحان ، وهناك مجالس الطعام وفيها مآكل العرب والفرس ، وهناك بعض الملاهي الشعبية التي ترقص فيها القرود .

Scanned by CamScanner

والهمذاني رفع الحجب عن **الحياة البيتية** لبعض الناس ، وصور هندسة مساكنهم وطريقة عيشهم. وتكلم عن عادات القوم من ندب الأموات والتقزز من الحجامين واستعمال القنديل والمذبة. **إن مقامات الهمذاني خزانة واسعة لطالبي اللغة والبيان والاجتماع.**

ب/ الحريري:(٤٤٦– ٥١٦)

هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري. ولد في قرية مشان من ضواحي البصرة، وتعمق في علوم النحو واللغة، ثم تقلب في وظائف الدولة. كان مفرط الذكاء ، وآية في الحفظ، غاية في الفطنة والفهم ، فما يكاد يفرغ من تلقيه العلم حتى جذب إليه الأنظار ، وعين في ديوان الخلافة في منصب "صاحب الخبر"، وكان من ذوي الغنى واليسار إلى جانب علمه الواسع. وقد أشار عليه الخليفة المستظهر أن يضع مقاماته، فوضعها وكافأه عليها شديد المكافأة

مقاماته:

تدور حول غرض الكدية وابتزاز المال عن طريق الحيلة ، وقد خاض في موضوعات شتى كالوعظ الديني. وهي حافلة بضروب من الفكاهة والهزل . والحريري أكثر تعلقا بالحواضر من الهمذاني ، فما يكاد يخرج إلى البادية إلا في واحدة منها أو اثنتين . ومقاماته في الغالب أطول من مقامات أستاذه ، بيد أن طولها لا يعود إلى اتساع الفن القصصي فيها ، وإنما إلى اجتماع خبرين في مقامة واحدة ، أو على فيض الألفاظ وكثرة المترادفات ، وإلى الإكثار من الشعر .

ومقامته أشد حبكًا وأكثر غرابة من مقامات الهمذاني ، وأشد اعتمادًا للسجع والتنميق والتصرف في ضروب البديع، والحريري أكثر مهارة في اختيار الألفاظ وتركيب الجمل. وتشعر وأنت تقرأها أن الأسلوب فيها هو كل شيء ، وعباراته صلبة ومنحوتة ، وجمله قصيره يقطعها تقطيعًا موسيقيًا ، وهو في إنشائه بادي الصنعة ، ظاهر التكلف ، يتعمد الغريب. وفي عباراته جفاف أسلوب العلماء. ولذا فإن العبقرية الفنية البعيدة عن التحكيك والتعمُّل إنما تجدها في مقامات الهمذاني لا الحريري.

Scanned by CamScanner

مقامات

أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

شرحها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المكتبة العصرية

Scanned by CamScanner

اَلْـحُـمْـقُ فـيـهِ مَـلـيـحٌ وَالْـعَـقْـلُ عَـيْـبٌ ولُـومُ(١)
وَالْـمَـالُ طَـيْـفٌ وَلَـكِـنْ حَـوْلَ الـلِّـئَـامِ يَـحُـومُ(٢)

أهم الخصائص لهذه المقامة :
١ـ وجود عنوان للمقامة
٢ـ وجود راوٍ
٣ـ شخصية الشحاذ (القراد) ٤ـ للملحة أو العقدة ..

المَقامَةُ القِرْدِيَّةُ

حفظ

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: بَيْنا أَنا بِمَدينَةِ السَّلامِ(٣). قافِلاً مِنَ الْبَلَدِ الْحَرامِ(٤)، أَميسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ(٥). عَلَى شاطِيءِ الدَّجْلَةِ(٦)، أَتَأَمَّلُ تِلْكَ الطَّرائِفَ. وَأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخارِفَ(٧). إِذِ انْتَهَيْتُ إِلَى حِلْقَةِ رِجالٍ مُزْدَحِمينَ يَلْوي الطَّرَبُ أَعْناقَهُمْ وَيَشُقُّ الضَّحِكُ أَشْداقَهُمْ(٨). فَساقَنِي الْحِرْصُ إِلَى ما ساقَهُمْ. حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرْأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الْهَجْمَةِ. وَفَرْطِ الزَّحْمَةِ(٩). فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ

٥ـ اللغة مصنوعة متكلفة
٦ـ وجود الشعر
٧ـ الغرض: هو الكدية ..
٨ـ المكان: مدينة السلام
٩ـ انكشاف الشخصية للبطل المحكي في نهاية المقامة..

---

(١) الحمق: الغباوة وضعف العقل، ولوم: مخفف لؤم مهموزا والمعنى أن الجهالة وضعف المدارك أمر مستحسن مقبول في زمننا هذا والعقل منقصة ومذمة:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) الطيف: الخيال الذي يمر بك في نومك. ويحوم: يدور والمعنى أن المال سريع في انتقاله سرعة الطيف وشيك التحول كثير التردد ولكنه إنما يدور على اللئام ويقع لدى الخبيثين، فمن شاء أن يثري أو يكون ذا بسطة من المال فليس له إلا أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم.

(٣) مدينة السلام هي بغداد.

(٤) قافلا: راجعا وآيبا، والبيت الحرام المراد مكة.

(٥) أميس: أتبختر في مشيتي، والرجلة: نوع من البقل تنبت في مجرى السيل وتسارع في الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها وبها يضرب المثل في الحمق وتسمى البقلة الحمقاء.

(٦) الدجلة نهر ببغداد هو والفرات صنوان.

(٧) الطرائف: جمع طريفة وهي الأمر الجميل المستحدث ومثلها الطرفة بضم أوله واتقصى: أبالغ في البحث كأنه من أقصى الشيء بمعنى غايته ونهايته.

(٨) يعني أنه ظهرت علائم الغرابة عليهم في التواء أعناقهم وكثرة ضحكهم.

(٩) يعني أن زحام الواقفين وكثرتهم منعاني عن رؤيته وإن كنت بحيث أسمع صوته.

Scanned by CamScanner

وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقَصْتُ رَقْصَ الْمُحَرَّجِ (١) . وَسِرْتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ (٢) . فَوْقَ رِقابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عاتِقُ هذا لِسُرَّةِ ذاكَ حَتَّى افْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ . وَقَعَدْتُ بَعْدَ الأَيْنِ (٣) . وَقَدْ أَشْرَقَنِي الْخَجَلُ بِرِيقِهِ (٤) . وَأَرْهَقَنِي الْمَكانُ بِضِيقِهِ (٥) . فَلَمَّا فَرَغَ الْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ قُمْتُ وَقَدْ كَسانِي الدَّهَشُ حُلَّتَهُ (٦) وَوَقَفْتُ لأَرى صُورَتَهُ . فَإِذا هُوَ واللهِ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : ما هذِهِ الدَّناءَةُ وَيْحَكَ (٧) ؟! . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلذَّنْبُ لِلأَيَّامِ لا لِي
فاعْتَبْ عَلَى صَرْفِ اللَّيالِي (٨)
بالْحُمْقِ أَدْرَكْتُ الْمُنَى
وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ الْجَمالِ (٩)

---

(١) أراد أسرعت في السير إليه لاكتشاف حاله كما يسرع الكلب الذي علمه صاحبه شدة العدو وسرعة القفز .

(٢) المراد أنه كان يتلوى في سيره ذات اليمين وذات الشمال .

(٣) الأين : التعب والإعياء والكلال ، وأراد أنه جلس في شدة الزحمة فكأنه جلس على وجوه الناس .

(٤) أشرقني : أغصني ، والخجل : الحياء الشديد والمعنى أنني خجلت حتى سال ريقي لدرجة أني غصصت به فإضافة الريق للخجل من إضافة الشيء إلى سببه .

(٥) أرهقني : كلفني شدة وحملني مشقة .

(٦) حلته : لباسه ، وشبه الدهش بإنسان يكسوه بلبوسه وأضاف الحلة إليه تخييلا .

(٧) الدناءة : الخسة والمعنى كيف تتعاطى هذه الحرفة الخسيسة التي لا يحترفها غير أدنياء النفوس .

(٨) صرف الليالي : محنها ومصائبها ، والمعنى إنه لا ذنب لي في انتهاج هذه الخطة لأن شدائد الدهر هي التي ساقتني إليها فإن كنت عاتبا ولا بد فاجعل عتابك موجها لها .

(٩) المعنى أنني نلت لما تمنيت وبلغت ما أملت بتجاهلي إذ أن الزمن لا يسعف إلا الجهلاء .

Scanned by CamScanner